أرقام 4

العدد ١٣ | ٣ أيلول ٢٠٢٤

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

سجـال مفتوح على هيئة مطبوعة تصدر عن أمم للتوثيق والأبحاث

عن صديقي #سعيد_الجن:
«المُحافَظَةُ على أطْلالِ «الدَّوْلَة» يَقْتَضي،
في عِدادِ ما يَقْتَضي، تَوْهينَ «الدّوَيْلَةِ» وإضْعافَها.
أثْمانُ التَّوهينِ بَخْسَةٌ مَهْما بَدَت، لِلْوَهْلَةِ الأولى، باهِظَةً...».

مواقف «حزب الله» المتقلّبة بحسب التطوّرات والتوجيهات الإيرانية

حسان القطب*

من حق كل فريق أن يُصدر أو يُطلق المواقف السياسية التي يُريد طالما أنها تخدم مساره وتوجهاته السياسية، ومن الطبيعي بل من المفترض أن تكون هذه المواقف تعبّر عن تطلعات المواطنين سواء كانوا حزبيين أو مناصرين... ولكن في لبنان يبدو أن البعض يُطلق مواقفه السياسية دون الالتفات إلى إمكانية تحقيقها أو تنفيذها... ودون اي إحساس أو خوف من المحاسبة والمساءلة من احتمال العودة عنها أو التراجع عن تنفيذها... أو حتى اتخاذ مواقف متناقضة مع الثوابت التي سبق أن أطلقها... حتى أن البعض تأخذ به القدرة على التسلّط إلى محاسبة مَن لا يؤيّد مواقفه أو يقتنع بسياساته... ويُطلق العنان لجمهوره لمهاجمته والإساءة إليه باعتبار ان حزبه فوق الجميع وهو يسأل ويحاسب مَن يريد وعندما يشاء. ومن الملفت أن بعض القادة السياسيين والدينيين، يراهنون كثيرًا على ذاكرة الجمهور، التي تتناسى أو تتجاهل مواقف سبق أن أطلقها هؤلاء الزعماء والقادة، ووضعت الوطن والشعب في مواقف حساسة قد تعيد رسم مصير وطن وشعب ومستقبل أمة...

وقد امتاز «حزب الله» وتميّز طوال سنوات وعلى لسان أمينه العام، بإطلاق المواقف التي تُعطيه حضوراً قوياً بين جمهوره وضمن بيئته، وكذلك عبر الحدود متوجّهاً بخطابه نحو اسرائيل، وكذلك إلى بعض الدول العربية وقادتها... وكذلك بالعمل على إظهار أن حضوره على الساحة اللبنانية ليس ضرورة محلية فقط، بل هو حاجة إقليمية، وربما دولية. وقد اقتنع بعضهم بأن «حزب الله» قد أصبح قوة إقليمية عظمى..؟؟ يُحسب لها ألف حساب. ويستطيع استناداً إلى حضوره الشعبي، وقوّته العسكرية شبه النظامية وقُدراته المادية من مال وعتاد، يستطيع الانخراط في حروبٍ إقليمية، حيث أطلق الأمين العام لـ«حزب الله» عند الإعلان عن تدخّله في الحرب السورية، مقولة «نكون حيث يجب أن نكون» متجاهلًا التركيبة التعددية اللبنانية والتباينات الدينية والثقافية في لبنان، ومفاهيم وشعارات الميثاقية التي دأب على الإشارة إليها هو وقادة «حزب الله» في الخطابات والمقابلات والمواقف التي يُطلقونها... وكذلك دون الأخذ بالاعتبار الكلفة العالية والباهظة والمؤلمة، التي يتحملها الشعب اللبناني داخليًّا من انقسام بين مكوّناته وخارجيًّا في إطار علاقاته مع محيطه العربي والإسلامي... ولتبرير أو لتغطية المشروع الديني الذي تحت سقفه كان التدخّل في سوريا والعراق واليمن... أطلق على قوى هذا المحور لقب «قوى محور المقاومة»...

وتأكيدًا لقوة وحضور ودور «حزب الله» وترسيخاً لهما في أذهان العامّة والجمهور والمؤيّدين وحتى لدى الخصوم لترهيبهم... فقد نشرت مجلة «الوحدة الاسلامية» التي يُصدرها تجمّع العلماء المسلمين في لبنان، العدد (آب ٢٠١٦م) مقالاً تحت عنوان: «حزب الله من مقاومة محلية إلى قوة إقليمية». وبحسب موقع «الجزيرة»، تاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٣، فقد ذكر الأمين العام نصرالله، في كلمته عقب حرب تموز/ يوليو من عام ٢٠٠٦: «إن المقاومة تملك أكثر من عشرين ألف صاروخ وأن حزبه أقوى حاليًّا منه في السابق مشددًا على أن لبنان صار عبر جمهور المقاومة قوة عظمى في الشرق الأوسط».

«حزب الله» حزب ديني يحمل برنامج عمل سياسي يخدم مشروعه الديني، ولكن يبقى أن عليه الالتزام بمواقفه التي يُطلقها وعليه أن يحترم تعهّداته وضماناته التي يسمعها الجمهور ويبني عليها الالتزام والانضباط والتأييد والاحترام. فالمواقف التي يُطلقها أمينه العام هي التزام وارتباط وعهد من مسؤول رفيع المستوى، وقراراته قد تضع الوطن أمام حربٍ مفتوحة أو خصومة طويلة الأمَد.

«أضرار» أصابت احد الارصفة جراء سقوط «صاروخ» اطلقه حزب الله على كريات شمونة. المصدر: الميادين

{وقِفوهم إنّهُم مسئولون} قرآن كريم (سورة الصافات، الآية ٢٤)

الآية الكريمة واضحة المعنى، من حيث محاسبة المسؤول على مواقفه، خاصة عندما تقود إلى إزهاق أرواح والتضحية بالشباب في معارك داخل لبنان أو خارجه... ولكن يتمّ تجاهل معنى ومضمون الآية الكريمة بعدم الإعلان عن المحاسبة من خلال تقديس القادة وإعطائهم رمزية بالغة تجعلهم فوق المساءلة بل حتى المناقشة..

{وأوْفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا} قرآن كريم (سورة الإسراء، الآية ٣٤)

وعلى هؤلاء القادة أن يكونوا عند مواقفهم وقراراتهم، واحترام تعهّداتهم... ولا يجب إطلاق مواقف أو الإعلان عن أي قرار إلّا بعد مراجعة دقيقة ودراسة معمقة، بحيث يكون هامش الخطأ محدود، حتى لو كان القادة لا يمكن محاسبتهم..؟؟ والأهمّ هو عدم التراجع عن أي قرار أو اتخاذ قرارات متناقضة أو مناقضة لما سبق أن تمَّ الإعلان عنه..؟

ولكننا مع الأسف نلاحظ أن هناك مواقف يتمّ نقضها والتراجع عنها دون تصريح صريح... أو حتى الاعتذار من الجمهور الذي أعلن تسليمه بقيادتهم وحسن إدارتهم ومصداقية مواقفهم وجدية إعلاناتهم...

وهنا لا بد أن نتوقف عند بعض الملاحظات والمشاهدات والممارسات التي تؤكد التراجع عن مواقف وثوابت سبق الإعلان عنها... لسبب أو لآخر، ولكن دون تقديم أي تبرير أو تفسير...

من الجدير الإشارة إلى ما حصل في إحدى خيم الانتفاضة الشعبية التي انطلقت في ١٧ تشرين أوائل عام ٢٠١٩، عندما تحدّث الناشط الأكاديمي، مكرم رباح، وبحضور المرحوم لقمان سليم، وعدد من الناشطين البارزين، أمام جمهور المنتفضين، وذكّر يومها الناشط رباح اسم دولة إسرائيل، في معرض كلامه، فاعترض على ذلك عدد من ناشطي محوَر طهران، المدسوسين داخل الخيمة المذكورة، وافتعلوا مشكلة داخلها، متهمين إياه بالتطبيع وأن هذه الدولة لا وجود لها وأن اسمها «الكيان الغاصب»، ما اضطر الجيش إلى التدخل لإخراج المعتصمين وحمايتهم من زعرنات أتباع ومناصري هذا المحور... ولكن عندما وقف الرئيس نبيه بري بعد سنتين أو أكثر وبموافقة من «حزب الله»، وبحضور آموس هوكشتاين المندوب الأميركي ومبعوث الرئيس الأميركي لشؤون الشرق الأوسط، للتوسط في ترسيم الحدود البحرية بين لبنان و«الكيان الغاصب»، ليُعلن عن

عن أساطير الحرب وخرافات السِّلم

جاء في «لسان العرب» أن فلانًا سطَّر فُلانًا، أي إنه زخرف له الأقاويل ونمّقها، وتلك الأقاويل هي الأساطير بمعنى أحاديث لا نظام لها. وفي «قاموس العين»، سَطَّرَ فلانٌ علينا تسطيرًا إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل.

أما في يومياتنا التي أصبحنا نعيشها تحت سطوَة الخرافات والأساطير في «الحرب» كما في «السِّلم» وما بينهما، فقد زخرف مَن يحكم البلاد بطولها وعرضها قوله، وعمّم «أساطيره»، بالإشارة الدائمة إلى أنه خارج «الدولة» بما هي وظيفة عامة، وأنها أقلُّ شأنًا من أن تكون من ضمن وسائل تحكّمه. فظلّت خارج اهتمامات حزبه، وأن مشاريعه وأمواله «الإلهية» أنظف وأطهَر من أن يمسّها شيطان «الدولة».

هذا في السِّلم، أما في الحرب، فقد نمّق حاكم البلاد، بطولها وعرضها، وصف شكل حربه التي يخوضها اليوم، دون أن يُعير أي اهتمام لما يريده الناس وما يطلبونه، فأضحَت كما لو أنها لعبٌ على الكلام وما بين السطور، وقفزٌ فوق الكلمات؛ فهي حينًا «وحدة ساحات» وأحيانًا «مساندة» أو «مشاغلة»، وما بين الحين والآخر تكون «حرب الضرورة» أو حربًا تمنع حروبًا أوسع وتستبِق أضرارها. كما سطّرت وسائل إعلامه ووسائط تأثيره وفضاء مناصريه والناطقين باسمه، وما أكثرهُم، أن هذه الحرب، بأشكالها المختلفة وفي ألاعيبها الكلامية وأساطيرها التي يُسقطونها على جمهورهم ومحازبيهم من الماضي الغابر، هي مطلب جميع سكان جنوب البلاد، بمن فيهم الذين نزحوا من بلداتهم وقراهم، هائمين يبحثون عن مأوى يقيهم عَثرات التهجير والنزوح، وبما هم أهل تماسٍ دائم مع تلك المعارك، وأن عَيش انتصارات هذه الحرب الإلهية، وما قبلها، هو رغبتهم.

في مقابل هذا السعي إلى تعميم الأسطورة والخُرافة، هناك وقائع وحقائق وسياسات تدحضها الوقائع على الأرض، فتفضح مقولة أن «الدولة» بما هي وسيلة انتفاع وتربّح وتحكُّم وسيطرة هي من صُلب اهتمامات حاكم البلاد وخططه. وخَلف زخرفات الانتصارات والحرب الدائمة، يُنقل عن لسان الناس أن هناك، في خضمِّ هذه الحرب ومثيلاتها، تقبع أحلامهم وأيامهم الضائعة وانتظاراتهم معدومة الأفق والمستقبل. هناك أحاديثهم اليومية التي تقول كل ما من شأنه تبديد الخرافة ودحض كل أسطورة.

محتويات العدد

مواقف «حزب الله» المتقلّبة بحسب التطوّرات والتوجيهات الإيرانية (حسان القطب)..... صفحة ١و٢

عن أساطير الحرب وخرافات السِّلم ..... صفحة ٢

«حزب الله»: من تَكفيرِ الدَّولةِ إلى القبضِ عليها ..... صفحة ٣و٤

الحرب في الجنوب على مشارف عامها الأول: محطات من نظرة الجنوبيين إليها (أحمد خواجة) ..... صفحة ٥و٦

«حزب الله» أو مسار التحوّل إلى المافيا المنظمة، مرحلة ما بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان (محمد عثمان) صفحة ٧و٨و٩

كيف ومتى تتحلّل الدولة ..... صفحة ٩

نازحو حرب المشاغلة، فارق طبقي وحزبي يكشف واقع الحال (حسن سنديان) / **بلدة الطيبة** ..... صفحة ١٠و١١

من كتاب التربية والتعليم، في نشأة نظام تربوي رديف ومآلاته: مؤسسات «حزب الله» التربوية نموذجًا ..... صفحة ١٢

الاتفاق والتفاهم، بين الجمهورية اللبنانية ودولة إسرائيل التي ورد ذكرها أكثر من عشر مرات، في سياق نصٍّ بيان التفاهم والاتفاق... لم يعترض «حزب الله» ولا حتى جمهوره على تسمية الكيان الغاصب بدلًا من تسمية دولة إسرائيل... مع ما يتضمنه نصّ الاتفاق حول الترسيم البحري من الاعتراف بوجود دولة إسرائيل وبرسم حدودٍ بحرية معها... وليس مع دولة فلسطين المحتلة...

حقل كاريش والترسيم البحري

بحسب ما يذكر «موقع الجزيرة» الإلكتروني في ١٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٢٢: «قال الأمين العام لـ«حزب الله» اللبناني حسن نصرالله إن أعين الحزب وصواريخه موجهة على حقل كاريش للغاز المتنازَع عليه مع تل أبيب». وفي كلمة تلفزيونية له، قال نصرالله إنه «لا يمكن السماح باستخراج النفط والغاز من حقل كاريش قبل حصول لبنان على مطالبه المحقة». وقال «نراقب مسار المفاوضات لترسيم الحدود البحرية»، مضيفا «بالنسبة لنا الخط الأحمر هو بدء استخراج النفط والغاز من حقل كاريش». وتابع في كلمته «هدفنا أن يتمكن لبنان من استخراج النفط والغاز، وهذا الملف لا يتصل بأي ملف آخر».

إسرائيل باشرت التنقيب والإنتاج من حقل كاريش الذي لم يعد محل تنازع بعد أن تنازل لبنان عنه لإسرائيل، بحسب الكثير من المراقبين والخبراء في علم الجغرافيا والترسيم البحري والبرّي... ولم يتمّ تنفيذ تهديد «حزب الله»، منذ ذلك الوقت، وحتى خلال المناوشات بين إسرائيل و«حزب الله» التي اندلعت من ٨ تشرين الأول/ أوكتوبر من العام ٢٠٢٣ إلى يومنا هذا..؟؟ إضافة إلى ذلك لم يستخرج لبنان إلى الآن غازاً أو نفطاً...

أهداف الحرب تغيّرت

نقلت قناة الـ«بي بي نيوز» في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٣ عن حسن نصرالله، ما يلي: «كل الخيارات مفتوحة... إن موقف الحزب مما يجري في غزة مرهون بتطوّر الأوضاع هناك وبسلوك إسرائيل في لبنان وفي الأراضي الفلسطينية»، وترَك كل الخيارات مفتوحة. واعتبر نصرالله «وقف الحرب على قطاع غزة وانتصار المقاومة وحماس تحديدًا من أهداف الحزب، وأي تهديد يمسُّ بالمقاومة سيطرح كل الاحتمالات»، وأكّد أن «انتصار غزة اليوم هو مصلحة وطنية عربية»...

أوردت قناة «المنار» الناطقة باسم «حزب الله» في ٦ آب/ أغسطس، التالي: «السيد نصرالله: هدف هذه المعركة منع «اسرائيل» من الانتصار والقضاء على المقاومة الفلسطينية والقضية الفلسطينية»!!...

لقد تبدّل موقف أمين عام «حزب الله» من أن الانخراط في الحرب هدفه انتصار المقاومة، إلى الإعلان عن أن هدف هذه المعركة التي يخوضها «حزب الله» هو منع إسرائيل من الانتصار..؟؟

وحدة الساحات تحوّلت إلى جبهات إسناد

موقع «المدن» الإلكتروني أورد في ٢٠ كانون الثاني/ يناير ٢٠٢٤، على لسان الأمين العام لـ«حزب الله» الآتي: «نصرالله يجدّد التأكيد على وحدة الساحات والدم ونصرة غزة»... وتابع «بعد عقود من السعي المركّز بدعم أميركي وغربي كامل لتقطيع قضية فلسطين وتجزئتها وتذويبها، جاءت النصرة لغزّة من ساحات لبنان وسوريا والعراق وإيران واليمن أوسع من توقعات العدو، وقد نجحت فصائل المقاومة في محاصرة الكيان الغاصب بالنار على مدى أكثر من ١٠٠ يوم وهو أمرٌ غير مسبوق». ثم أكد أن «دماء شهداء نصرة غزّة في لبنان، ودماء شهداء نصرة غزّة في سوريا ودماء نصرة غزّة في العراق، ودماء شهداء نصرة غزّة في اليمن، ودماء شهداء نصرة غزّة في إيران، والتي كان آخرها دماء اللواء السيد رضي الموسوي، كلّ هذه الدماء تتوحّد وتلتحم وتتكامل مع دماء شهداء غزّة والضفّة الغربية.

إنها وحدة الدَّم والبندقية والساحة والهدف

إذاعة «مونت كارلو» في ١١ تموز/ يوليو ٢٠٢٤ أوردت في إحدى نشراتها: «حسن نصر الله يؤكّد أن الحزب جبهة إسناد لغزة وسيستمر في الدفاع عن جنوب لبنان... وقال ردًّا على التهديد الإسرائيلي «إذا قرّرت إسرائيل مواصلة الحرب والاعتداء على جنوب لبنان سنكون جاهزين، كما فتحنا الجبهة للدفاع عن غزة، سوف نفتحها للدفاع عن أرضنا وأهلنا وشعبنا ولن نتسامح مع أي اعتداء تُقدِم عليه إسرائيل»، متوجِّهًا إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو بالقول «مواصلة المعركة يعني أنك تأخذ إسرائيل إلى الخراب».

من الدخول إلى الجليل وتحرير فلسطين

الى وقف الحرب وعدم السعي لإزالة إسرائيل

موقع «النشرة»، يوم الخميس ١٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٥ أورد التالي: «نصرالله: المقاومة مستعدّة للدخول إلى الجليل لا بل إلى ما بعد الجليل». وشدَّد السيد نصرالله على انه «علينا أن نكون مستعدّين وجاهزين لكل ما يحتاجه الانتصار في أي حرب مقبلة»، موضحًا أن «المقاومة جاهزة بكوادرها وضباطها وإمكاناتها ومقدّراتها لأن تدخل إلى الجليل»، لافًتا إلى أن «المقاومة جاهزة لأن تنقل المعركة إلى أرض العدو ليس فقط بالصواريخ بل بالحركة الميدانية»، مشيرًا إلى أن «الاستعداد لمواجهة الإسرائيلي يبقى الأولوية الحاسمة والقاطعة لدى «حزب الله» والمقاومة»...

قناة «روسيا اليوم» أوردت في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٩: «نصر الله: خطتنا في حال اندلاع حرب مع إسرائيل تشمل الدخول إلى الجليل»... ثم أضافت: «أعلن الأمين العام لـ«حزب الله» اللبناني، حسن نصر الله، عند خروجه من صمت دام أكثر من شهرين، أن قوات المقاومة تخطط لدخول أراضٍ تسيطر عليها إسرائيل حال وقوع حرب جديدة معها».

وفي تاريخ ٢ تموز/ يوليو أذاعت قناة «روسيا اليوم» على لسان نائب الأمين العام لـ«حزب الله» نعيم قاسم: «نصر الله يمنح تل أبيب سبيلًا وحيدًا يضمن وقف «حزب الله» عملياته ضد إسرائيل ويمنع الحرب الشاملة».

وأضافت: «صرح نائب الأمين العام لـ«حزب الله» اللبناني نعيم قاسم اليوم الثلاثاء، بأن السبيل الوحيد المؤكّد لوقف إطلاق النار على الحدود اللبنانية الإسرائيلية هو الوقف الكامل لإطلاق النار في غزة».

أما تلفزيون «الجديد» فقد أورد في ٦ آب/ أغسطس عن الأمين العام لـ«حزب الله»، التالي: «نصرالله: هدف المعركة الآن ليس إزالة إسرائيل إنما منعها من الانتصار»...

سنقصف تل أبيب إذا قصفت الضاحية الجنوبية

أما «موقع كتائب حزب الله»، في ١٠ نيسان/ أبريل فقد أورد التالي: «السيد نصرالله: إذا دمّرت إسرائيل بناءً في الضاحية سندمّر أبنية في تل أبيب»... وأضاف الموقع على لسان نصرالله: «في الحرب الماضية قلنا إذا ضربتم بيروت سنضرب تل أبيب، قلنا لهم في المرة المقبلة إذا ضربتم الضاحية سنضرب تل أبيب». وتابع السيد نصرالله: «نحن نشتاق للحرب ولكن لا نريدها»...

ورغم هذا التهديد الواضح والصريح والموقف الذي لا يحتمل التأويل أو لتفسير فقد اغتالت إسرئيل في الضاحية القيادي في حركة حماس صالح العلروري، ولم يتمّ الرد بقصف تل أبيب، أو حتى بالقرب منها... ومن ثم اغتالت أعلى شخصية عسكرية قيادية في «حزب الله» فؤاد شكر (الحج محسن)، وحصل الرد بعد أكثر من الشهر ولكنه لم يكن بالمستوى المطلوب أو الذي يتناسب مع حجم الاعتداء ولا بحجم الشخصية القيادية التي تمّ اغتيالها. حتى أن كلام السيد نصرالله في خطابه الأخير عقب الرد كان يتضمّن استمهالًا للتأكّد من أن الأضرار التي أصابت العدو الصهيوني مناسبة أو كافية وإلّا فإن مرحلة ثانية من الرد قد تكون مطلوبة...

نماذج كثيرة من انقلاب «حزب الله» على مواقفه

من الممكن الاستشهاد بالكثير من التناقضات في مواقف «حزب الله» وأمينه العام، وسائر قياداته... وانقلابات هذه القيادة على مواقف سبق أن أطلقتها أو اتفاقات قد وافقت عليها:

تفاهم بعبدا، خلال عهد الرئيس السابق ميشال سليمان، حيث تمّ الاتفاق على تحييد لبنان عن الحرب السورية، بحضور ومشاركة وموافقة «حزب الله»، ولكن بعد أيام انقلب «حزب الله» على مواقفه على لسان رئيس كتلته النيابية، محمد رعد، الذي نفض يد «حزب الله» من الاتفاق، وأعلن تنكر «حزب الله» له...

«حزب الله» الذي يقول بأن لبنان وطن التسويات والاتفاقات والقرارات التوافقية والميثاقة، خاصةً من خلال تعطيله الانتخابات الرئاسية الحالية منذ ما يقارب السنتين، سبق وأن فرض انتخاب ميشال عون رئيسًا بقوة البندقية، كما قال أحد نوابه السابقين أمام شاشات التلفزيون وفي المجلس النيابي... مما أكد إطاحته بمفهوم الميثاقية حين يكون قويًّا قادرًا، ومستجدياً الميثاقية حين يكون ضعيفاً او عاجزًا عن فرض شروطه...

صورة تحمل عنوان "سنصلي في القدس"، نشرها موقع الخامنئي، تظهر الامين العام لـ«حزب الله » يصلي بقادة «محور المقاومة» في باحة المسجد الاقصى.

حقل غاز. المصدر: اندبندنت عربية

كما أن «حزب الله» توجّه للحرب في سوريا والعراق واليمن، حتى أنه وصل إلى أن يشارك في معارك البوسنة والهرسك، كما أعلن أمينه العام في خطابه عند تأبين قائده العسكري الحج محسن، غير آبه بمواقف اللبنانيين وبانعكاس خطوته على العيش المشترك والسلم الأهلي. كما اعترف نصرالله بأن ذهاب «حزب الله» إلى العراق كان بطلب من قاسم سليماني..

أما «موقع المنار» فقد أذاع في ١٣ شباط/ فبراير ٢٠٢٠، بأن السيد نصرالله كشف أن «الفريق سليماني طلب منه تقديم ١٢٠ قائد عمليات من اللبنانيين حتى بزوغ الفجر، كي نواجه داعش وندافع عن الشعب العراقي وندافع عن عتباتنا المقدسة وحوزاتنا العلمية وعن كل هذا الوضع الموجود في العراق»...

اتفاق الدوحة عام ٢٠٠٨، نصَّ على أن تتضمن التشكيلة الحكومية، وزيرًا ملكًا يكون من حصة رئيس الجمهورية ميشال سليمان لضمان التوازن بين الأكثرية النيابية التي تضمّ «تيار المستقبل» ومَن يتحالف معه، والمعارضة التي يقودها «حزب الله»... ولكن الوزير الملك تبيّن في ما بعد أنه عدنان السيد حسين، الذي استقال مع وزراء المعارضة وأسقط حكومة سعد الحريري... بطلبٍ من «حزب الله» وشريكه التيار الوطني الحر... في انقلابٍ على الاتفاق الذي تمَّ توقيعه في الدوحة ودون العودة لرئيس الجمهورية ميشال سليمان آنذاك...

الخلاصة

الشعب اللبناني، وخاصة جمهور «حزب الله» معني بالوقوف امام مواقفه وقراراته التي يتخذها نيابة عنه، وبالتالي يتحمّل هذا الشعب وبيئة «حزب الله» تداعياتها ونتائجها... مواقف «حزب الله» التصعيدية، سواء كانت محلية أو إقليمية، إنما تنعكس سلبًا على الواقع اللبناني الداخلي من حيث العلاقة بين المكونات اللبنانية، كما من ناحية تعطيل عمل المؤسسات الرسمية وإنجاز الاستحقاقات الدستورية، في مواعيدها المحدّدة... سواء كانت رئاسية أو نيابية أو حتى بلدية... وتعطيل المؤسسات يؤدّي إلى تراجع الواقع السياسي اللبناني وتدهور الوضع الاجتماعي وبالتالي الاقتصادي... وتهتزّ ثقة العالم العربي والغربي، باستقرار لبنان وقدرته على النهوض من جديد... كما ان استثمار إيران في شباب «حزب الله» كما أشار نصرالله صراحة... ولا يمكن تجاهل أن الجنرال زاهدي الذي اغتالته إسرائيل في دمشق كان عضوًا في شورى «حزب الله»... مما يعني أن إيران شريك أساسي في القرار والإدارة وبالتالي يتحمل الشعب اللبناني النتائج السلبية وليس إيران... فإيران تستفيد من دور «حزب الله» إيجاباً باستخدام شبابه في معاركه المتنقلة والمنتشرة في دول عدة وفي بلاد الاغتراب... ولا يحصد لبنان إلّا الانعزال والعزلة عن البلاد العربية والغربية ودفع ضريبة الدّم من شبابه وبيئته والدمار في بنيته التحتية ومنازل ومساكن المواطنين الذين يخسرون بيوتهم وقراهم ومدنهم نتيجة العدوان الصهيوني المتمادي والذي يبحث عن ذريعة للعدوان والاعتداء. ■

*مدير «المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات»

«حزب الله»: من تَكفيرِ الدَّولةِ إلى القبضِ عليها

مـرَّ مَفهومـا الدَّولـةِ والسُّـلطةِ فـي مراحـلَ عـدّة، تطـوَّرَتْ مـنَ التَّماهـي إلـى الفصـلِ بينهُمـا. فالدَّولـةُ يُمكـنُ تعريفُهـا بأنَّهـا شـبكةٌ مـن المؤسَّسـاتِ المـوكَلِ إليهـا تنظيـم شـؤون المجتمـع/الشَّـعب. أمَّـا السُّـلطةُ، أو النِّظـام، فهـي مجموعـةٌ مـنَ الأشـخاص المَعنيِّيـن بـإدارةِ هـذه المؤسَّسـاتِ والمسـؤولينَ عنهـا. ويُمكـنُ اعتبـارُ هاتَيْـن العبارتَيْـن تعريفًـا عامًّـا لمفهـوم الدَّولـة الحديثـةِ أو المدنيَّـة.

لا يُخفـى، طبعًـا، أنَّ المنطقـة العربيَّـة عمومًـا لـم ترتَـقِ بعـدُ إلـى مفهـوم الدَّولـة الحديثـةِ، إذْ إنَّ الدَّولـة الدِّينيَّـة لـم تـزَل تحظـى بشـعبيَّةٍ واسـعةٍ نِسـبيًّا، وبخاصَّـةٍ لـدى تيَّـارات الإسـلام السِّياسـيِّ التـي تتصـدَّرُ المشـهدَ السِّياسـيَّ العربـيَّ منـذ عقـود. وإذا كان المُحلِّلـون يختلِفـون فـي أنْ يَكـون تبنِّـي هـذه التيَّـارات للدِّيـن السِّياسـي هـو فقـط مـن أجـل اسـتقطاب النَّـاس أم أنَّـه ينبـعُ مـن قناعـةٍ حقيقيَّـةٍ لـدى زُعمـاء هـذه التيَّـارات، فـإنَّ النَّتيجـة فـي الحالتَيْـن واحـدةٌ فـي تأثيرِهـا علـى النَّـاس وفـي تشـكيل مبادئهـم السِّياسـيَّة التـي تتماهـى مـع مُعتقداتِهـم الدِّينيَّـة وِفـقَ مُعادلـةٍ مَفادُهـا؛ «سياسـتُنا هـي عيـنُ عقيدتِنـا». ولعـلَّ أبـرزَ هـذه التيَّـارات علـى المُسـتوى الشِّـيعيِّ هـو التيَّـار الـذي تشـكَّل معَ وصـولِ طبقـةِ «رجـال الدِّيـن» إلـى حُكـمِ إيـرانَ سـنةَ ١٩٧٩ تحـتَ عُنوانَـيْ «ولايـة الفقيـه» و«تصديـر الثَّـورة». وتحـتَ هذَيْـن العُنوانَيْـن نشـأ حـزبُ اللـه فـي لُبنـان عقـبَ الاجتيـاح «الإسـرائيليِّ» سـنةَ ١٩٨٢. ورغـمَ العـددِ الكبيـر مـن الإشـكاليَّاتِ التـي تُطـرَحُ عنـدَ تنـاوُلِ قضيَّـةٍ، أو مُشـكلةٍ، «حـزب اللـه»، تبقـى إشـكاليَّةُ علاقتِـه بالدَّولـة اللُّبنانيَّـة إحـدى أكثـر الإشـكاليَّاتِ التـي يَحـرِصُ حـزبُ اللـه علـى إبقائهـا مُلتبسـةً لـدى أنصـارِه بالدَّرجـة الأولـى وخصومِـه بالدَّرجـة الثَّانيـة.

مُعاداةُ السُّلطةِ وتكفيرُ الدَّولةِ:

بـدأ الحِـزبُ علاقتَـه مـع السُّـلطةِ اللُّبنانيَّـةِ بالمُعـاداةِ لهـا. بـل ليـسَ مُبالغـةً القَـوْلُ إنَّ نشـوءَ حـزبِ اللـه قـامَ علـى مُعارضـةِ السُّـلطةِ قبـلَ أنْ يقـومَ علـى مُقاومـةِ الاحتـلال. فـأوَّلُ نُشـوءِ حزبِ اللـه كانَ فـي تأسـيسِ حسـين الموسـوي، وجماعتِـه المُواليـة لإيـران، لِمَـا عُـرِفَ آنـذاك بـ«حركـة أمل الإسـلاميَّة» بعدَ انشـقاقِهم عـن «حركـة أمـل» علـى خلفيَّـةِ مُشـاركةِ رئيسِـها نبيـه بـرِّي، إلـى جانـب بشـير الجميِّـل، فـي «هيئـة الإنقـاذ الوطنـي» التـي عَقـدتْ أوَّل اجتماعاتِهـا فـي ١٩ حزيـران ١٩٨٢ برئاسـةِ الرَّئيـسِ الياس سـركيس ومُشـاركةِ رئيـس الحكومـة شـفيق الـوزان، وزيـر الخارجيَّـة فـؤاد بُطـرس، النَّائـب نصـري معلـوف، بشـير الجميِّـل، نبيـه بـرِّي ووليـد جُنبـلاط. إذًا، إنَّ توجُّـه «حركـة أمـل» للمُشـاركةِ فـي الهيئـةِ التـي تضـمُّ مُمثِّلـي «السُّـلطة» قُوبِـلَ بالرَّفـضِ مـن «أمـل الإسـلاميَّة» التـي شـكَّلتْ نُـواةَ حـزبِ اللـه إلـى جانـب عددٍ مـن المُقاتليـن اللُّبنانيِّيـن والإيرانيِّيـنَ الذيـن لاقـى إرسـالُهم إلـى لُبنـان اعتراضًـا لُبنانيًّـا واسـعًا، وبخاصَّـةٍ عنـدَ الطَّائفـةِ الشِّـيعيَّة.

أمَّـا عِلاقـةُ «حـزب اللـه» بالدَّولـةِ فتَقـومُ علـى أسـاسِ نظريَّـةِ «ولايـةِ الفقيـه» التـي تُشـكِّلُ العقيـدةَ الدِّيـن - سياسـيَّةَ لـ«حـزب اللـه». وولايـةُ الفقيـه تقـومُ بدورِهـا علـى اعتبـارِ الحكومـات فـي ظِـلِّ غيبـةِ المهـديِّ غيـرَ شـرعيَّةٍ مـا لـم تُحكَـمْ مـن قِبَـلِ «الوَلـيِّ الفقيـه» الـذي يَشْـغَلُ منصـبَ «نائـب الإمـام» فـي ظِـلِّ الغيبـة. وقـد لخَّـصَ الأميـنُ العـام الحالـي للحِـزبِ، حسـن نصـر اللـه، رؤيـةَ الحـزبِ لُلبنـان بمـا نصُّـه: «فـي الوقـتِ الحاضـرِ ليـسَ لدينـا مشـروعُ نظـامٍ فـي لُبنـان. نحـنُ نعتقـد بـأنَّ علينـا أن نُزيـحَ الحالـة الاسـتعماريةِ والإسـرائيليَّة، وحينئـذٍ يُمكـن أن يُنفَّـذَ المشـروع. ومشـروعُنا الـذي لا خَيـار لنـا أن نتبنَّـى غيـرَه، كونَنـا مؤمِنيـن عقائديِّيـن، هـو مشـروع الدَّولـة الإسـلاميَّة وحُكم الإسـلام وأن يكـونَ لُبنـان ليـس جمهوريـة إسـلاميَّة واحـدة وإنَّمـا جـزءٌ مـن الجمهوريَّـة الإسـلاميَّة الكُبـرى التـي يحكمُهـا صاحـبُ الزَّمـان (المهـديِّ) ونائبُـه بالحـقِّ الولـيّ الفقيـه الإمـام الخُمينـي».

«حزب الله» والدُّخول إلى الدَّولة: مسؤولٌ مع وقف التَّنفيذ؟

قامـتْ إيـرانُ، إذًا، بشـقِّ التَّنظيـمِ الشِّـيعيِّ الأكبـرِ آنـذاك، «حركـة أمـل»، وأسَّسـتْ حـزبَ اللـه فبـاتَ فـي الطَّائفـةِ الشِّـيعيَّةِ حِزبـانِ شِـيعيَّانِ يتصارعَـان علـى حِصَّـةٍ كُلٍّ منهمـا مـنَ الطَّائفـة. ورغـمَ أنَّ تأسـيسَ «حـزب اللـه» تـمَّ بموافقـةٍ سـوريَّةٍ، إلَّا أنَّ الصِّـراعَ علـى النُّفـوذِ بيـنَ إيـرانَ وسـوريا علـى الجُغرافيـا الشِّـيعيَّة أخـذَ يتَّسِـعُ إلـى أنِ انفجـرَ حربًـا دمويَّـةً بيـن «حـزب اللـه»، مدعومًـا مـن إيـران، و«حركـة أمـل»، مدعومـةً مـن سـوريا، بيـنَ العامَيْـن ١٩٨٨ و١٩٩٠. وتكتسـبُ الجُغرافيـا الشِّـيعيَّة فـي لُبنـان أهميَّـةً كبيـرة بخاصَّـةٍ منطقـة الجنـوب نظـرًا لموقعهـا الجيوسياسـي بالقُـربِ مـن الحـدودِ اللُّبنانيَّـةِ الفلسـطينيَّة. والجديـرُ بلَفـتِ النَّظـرِ إليـه أنَّ هـذه الحـرب أتـتْ فـي أجـواءِ توقيـع «اتِّفـاقِ الطَّائـف» الـذي عارَضَـه حـزبُ اللـه. وبعـدَ تفاهُمـاتٍ إيرانيَّـةٍ سـوريَّةٍ أنهـتِ الصِّـراعَ بعـدَ تحديـدِ مناطـق النُّفـوذِ بيـن إيـران وسـوريا، وبعـدَ أن تحـدَّدَ حجـمُ «حـزب اللـه» فـي الجُغرافيـا الشِّـيعيَّةِ، قـرَّرَ الحـزبُ الدُّخـولَ إلـى الدَّولـةِ، دولـةِ الطَّائـف، دونَ الدُّخـولِ فـي الطَّائـف. ويُمكـنُ اعتبـارُ حربِـه مـع «حركـة أمـل» هـي أوَّلُ اسـتخدامِ «حـزبِ اللـه» لسـلاحِه مـن أجـل تحديـدِ حصَّتِـه وشـكلِ وجـودِه فـي الدَّولـة. وحـولَ الاتِّفـاقِ الـذي عُقِـدَ بيـن الحـزب وأمـل لإنهـاء القتـال. يقـولُ الشَّـيخ صـادق النَّابلسـي إنَّ الاتِّفـاقَ هـو «صيغـةٌ تتسـاكنُ فيهـا «حركـة أمـل» مـع أفضليَّـةِ اسـتحواذ الحـزب علـى إدارة العمليَّـات القتاليّـة ضـدَّ الاحتـلال الإسـرائيلي، وفـي مقابـل تسـاكُن الحـزب مـع أفضليـة لأمـل فـي اسـتحواذها علـى إدارة العمليـة السياسـية الداخليـة فـي أنسـاقها المؤسسـاتية والخدَماتيـة، وفـي علاقـات الطائفـة الشـيعية مـع الدولـة والطوائـف الأخـرى ومـا تتيحـه دواعي الاتصـال والمخاطبة مـع الخـارج».

«حزب الله» في البرلمان:

دخـلَ الحـزبُ، إذًا، إلـى الحيـاة السِّياسـيَّة مُشـاركًا فـي الانتخابـات النِّيابيَّـة منـذ العـام ١٩٩٢ وحصـل علـى المقاعـد وفـقَ مـا يلـي: ١٩٩٢ (١٢ مقعـدًا)، ١٩٩٦ (١٠ مقاعـد)، ٢٠٠٠ (٨ مقاعـد)، ٢٠٠٥ (١٤ مقعـدًا)، ٢٠٠٩ (١١ مقعـدًا)، ٢٠١٨ (١٢ مقعـدًا)، ٢٠٢٢ (١٥ مقعـدًا). وباحتسـاب عـدد مقاعِـده مـع عـدد مقاعِـد حُلفائـه تكـون النتيجـة كالتَّالـي: ١٩٩٢ (٤٨ مقعـدًا)، ١٩٩٦ (٤٤ مقعـدًا)، ٢٠٠٠ (٣٣ مقعـدًا)، ٢٠٠٥ (٥٧ مقعـدًا)، ٢٠٠٩ (٥٦ مقعـدًا)، ٢٠١٨ (٦٨ مقعـدًا)، ٢٠٢٢ (٥٧ مقعـدًا).

أصبحَ الحـزبُ لاعبًـا أساسـيًّا فـي المؤسَّسـةِ التَّشـريعيَّة للدَّولـة اللُّبنانيَّـةِ وشـارَكَ فـي التَّشـريعات والقوانيـن التـي صـدرَت عنهـا. ويُحـاولُ الحـزبُ اسـتغلال الصِّفـةِ الرَّسـميَّة لنُوَّابـه فـي سـبيل مشـروعه وأعمالِـه غيـر القانونيَّـة. فمثـلًا، فرضـت الولايـات المتّحـدة عقوبـاتٍ علـى النَّائبيـن محمَّـد رعـد وأميـن شِـرِّي بسـبب «اسـتغلال منصبَيهمـا فـي البرلمـان»؛ الأوَّل علـى خلفيَّـة لقائـه برجُلَـيْ الأعمـال التَّابعَيـن لـ«حـزب اللـه» أحمـد طباجـة وحسـين علـي فاعـور والتَّعـاون معهمـا مـن أجـل الالتفـاف علـى العقوبـات الأميركيَّـة واسـتمرار تأميـن تمويـل الحـزب، إضافـةً إلـى اتِّهـام شِـرِّي بـ«الضَّغـط علـى المؤسسـات الماليّـة اللبنانيـة» لمسـاعدة الحـزب علـى تفـادي تأثيـر العقوبـات عليـه. أمَّـا علـى مسـتوى الفسـاد فيُتَّهـم عـددٌ مـن نُـوَّاب الحـزب بملفَّـات فسـادٍ، ومنهـم النَّائـب حسـن فضـل اللـه الـذي يُتَّهـم بتورُّطِـه فـي سـرقة مئـات الدُّونمـات مـن أراضـي المشـاع فـي جنـوب لُبنـان.

وشـارَكَ حـزبُ اللـه فـي الانتخابـات البلديَّـة منـذُ العـام ١٩٩٨ وسـيطرَ، وحـدَه أو بالتَّحالُـف مـع «حركـة أمـل»، علـى مُعظـم البلديـات الواقعـة ضمـن مناطـق سـيطرتِه فـي البقـاع والجنـوب والضَّاحيـة الجنوبيـة لبيـروت. إضافةً إلى مُشـاركتِه فـي الانتخابات الاختياريَّـة التـي كان الحـزبُ يُوليهـا اهتمامًـا أكبـرَ مـن البلديـات، قبـل أن يُشـكِّل ثُنائيًّـا مـع «حركـة أمـل»، نظـرًا لمـا يعكسُـه انتخـابُ مُختـارٍ تابـعٍ للحـزب مـن دلالـةٍ علـى حجـم التَّأييـد الـذي يحظـى بـه الحـزبُ فـي هـذه البلـدة أو تلـك. إضافـةً إلـى التَّسـهيلات التـي قـد يُقدِّمهـا المخاتيـر لـ«حـزب اللـه» أكثـر مـن البلديـات، خاصَّـةً فـي قُـرى البقـاع والجنـوب.

الوزير يوسف فنيانوس والوزير علي حسن خليل. المصدر: موقع إيران واير

«حزب الله» في الحكومات:

بعـدَ الانسـحاب السُّـوري مـن لُبنـان فـي نيسـان ٢٠٠٥ شـارك حـزبُ اللـه فـي الحكومـات اللُّبنانيَّـة المُتعاقبـة منـذُ ذلـك الوقـت. ومـن أهـمِّ الـوزارات التـي تولَّاهـا وزراء الحـزب طيلـة هـذه الفتـرة؛ الطَّاقـة، العمـل، التَّنميـة الإداريَّـة، الزِّراعـة، الصِّناعـة، الشَّـباب والرِّياضـة، الصّحـة، الثقافـة والأشـغال العامَّـة. بينمـا تولَّـى حُلفـاؤه عـددًا كبيـرًا مـن الـوزارات أبرزُهـا؛ الخارجيَّـة، الصّحـة، الزراعـة، البيئـة، الاتّصـالات، الشـؤون الاجتماعيَّـة، الصناعـة، الشَّـباب والرِّياضـة، الطَّاقـة، الزِّراعـة، الدِّفـاع، الدَّاخليـة، السِّـياحة، العمـل، التَّربيـة، الماليـة، الأشـغال، الاقتصـاد، العـدل، الإعـلام وغيـر ذلـك.

ومـن خـلال مُراجعـة التِّشـكيلات الوزاريَّـة يُمكـنُ الخلـوص إلـى مـا يلـي؛ اسـتلمَ الحـزبُ، مـع حلفائـه، وزارة الماليَّـة منـذُ العـام ٢٠١٤ إلـى اليـوم، ووزارة الطَّاقـة منـذ ٢٠٠٥ إلـى اليـوم، الأشـغال العامّـة منـذ ٢٠١٤ إلـى اليـوم، الخارجيَّـة منـذ ٢٠٠٥ إلـى اليـوم، الصِّناعـة فـي فتـرات ٢٠٠٥ - ٢٠١١ و٢٠١٤ - ٢٠١٦ و٢٠٢٠ - ٢٠٢١، والزِّراعـة منـذ ٢٠٠٥ إلـى اليـوم باسـتثناء حكومـة تمَّـام سـلام (٢٠١٤ - ٢٠١٦).

تأخـذُ وزارةُ الماليَّـة حيِّـزًا مُهمًّـا لـدى «حـزب اللـه» إذْ إنَّـه، مـع «حركـة أمـل» طبعًـا، يُطالـبُ بـأن تكـون حقيبـة الماليَّـة مـن حصَّـة «الثَّنائـي الشِّـيعي» الـذي يحتكـرُ تعييـن الـوزراء الشِّـيعة فـي الحكومـة. وحـولَ هـذا يقـولُ الخبيـر الدُّسـتوري حسَّـان الرِّفاعـي لموقـع «أسـاس ميديـا» إنَّ هـذه المُطالبـة «غيـر دسـتوريَّة واتّفـاق الطّائـف لـم ينُـصُّ علـى ذلـك».

فـي الواقـع إنَّ المواقـع الماليَّـة الرَّئيسـيَّة فـي الدَّولـة هـي أربعـة؛ حاكميَّـة المصـرف المركـزي (مارونـي)، وزارة الماليَّـة، النِّيابـة العامَّـة الماليَّـة (شـيعي)، رئاسـة ديـوان المحاسـبة (شـيعي). إضافـةً إلـى أنَّ النَّائـب الأوَّل لحاكـم المصـرف هـو مـن حصَّـة الشِّـيعة أيضًـا. وبإصـرار الحـزب علـى وزارة الماليَّـة التـي يتولَّاهـا، عبْـر حلفائـه، منـذ العـام ٢٠١٤، هـو خطـوةٌ فـي سـبيل جعـل سـيطرتِه علـى ماليَّـة الدَّولـة عُرْفًـا. والواقـعُ اليـوم أنَّ هـذه المواقـع الأربعـة قـد تولَّاهـا الثُّنائـي بعـد انتهـاء ولايـة رياض سـلامة وإصـرار «حـزب اللـه»، علـى لسـان أمينـه العـام، علـى رفـض تعييـن حاكـم جديـد وعلـى اسـتلام النَّائـب الأوَّل (الشِّـيعي) مهـام الحاكـم. وقـد لعـبَ وزيـر الماليَّـة يوسـف الخليـل دورًا فـي تعطيـل التَّحقيـق فـي قضيَّـة انفجـار المرفـأ حيـن رفـضَ، عـام ٢٠٢٢، توقيـع مرسـوم تشـكيلات محكمـة التَّمييـز مـا أدَّى إلـى تعطيـل التَّحقيـق، وهـو مـا يُصـرُّ «حـزب اللـه» عليـه إلـى الحـدِّ الـذي دفَـع الأميـن العـام إلـى تهديـد القاضـي طـارق البيطـار فـي خطـابٍ مُتلفـز. عِلمًـا أنَّ امتنـاع وزيـر الماليَّـة عـن توقيـع المرسـوم أمـرٌ غيـر قانونـي إذْ إنَّ المرسـوم صـادر عـن وزارة العـدل وموقَّـع مـن وزيـر العـدل بينمـا توقيـع وزيـر الماليـة هـو توقيـع إجرائـي يتعلَّـق بوجـود اعتمـادات ماليـة جديـدة فـي المرسـوم.

كمـا فرضـتِ الولايـات المتّحـدة عقوبـاتٍ علـى وزيـر الماليـة السـابق علـي حسـن خليـل (٢٠١٤ - ٢٠٢٠) بسـبب نقلـه للأمـوال مـن الـوزارات الحكوميَّـة إلـى المؤسَّسـات المرتبطـة بـ«حـزب اللـه» بطريقـةٍ تُجنِّـبُ الحـزب العقوبـات الأميركيَّـة. كمـا قـام بإعفـاء أحـد عناصـر الحـزب مـن دفـع ضرائـب علـى الأجهـزة الإلكترونيَّـة التـي كان يسـتوردَها إلـى لبنـان.

«حـزب اللـه» وتوظيـف الـوزارات؛ الصحَّـة والأشـغال العامـة نموذجًـا

قـامَ الحـزبُ قبـل الأزمـة الماليـة عـام ٢٠١٩ باسـتخدام نفـوذِه وسـيطرتِه فـي وزارة الصحَّـة للتَّنسـيق مـع الصَّيدليَّـات فـي الجنـوب، البقـاع والضَّاحيـة مـن أجـل تزويـد أفـرادِه وموظَّفيـه بالأدويـة بأسـعارٍ منخفضـة. لكـن بعـد الأزمـة عمـدَ الحـزب إلـى شـراء الصَّيدليَّـات المُتعثِّـرة وإغراقهـا بالأدويـة الإيرانيَّة والسُّـوريَّة المهرَّبـة عبـر الحـدود البريّـة والبحريّـة والمطـار. ففـي حكومتَـيْ سـعد الحريـري الأخيـرة وحسـان دياب تولَّـى الحـزبُ وزارة الصَّحَّة وجيَّرَهـا لمصلحـة تمويـل مؤسسـاته الصحِّيَّـة ومستشـفياتِه، وسـمحَ فـي فتـرة الوزيـر حمـد حسـن باسـتيراد الأدويـة الإيرانيَّـة والسُّـوريَّة إلـى لُبنـان وسـط إشـكاليَّاتٍ حـول المعاييـر الصحيَّـة والقانونيَّـة اللَّازمـة. وتؤكِّـد الدَّكتـورة منـى فيَّـاض فـي حديـثٍ إلى قنـاة «العربيَّـة» أنَّ الحـزب قـام بتوظيـف عـددٍ مـن المحسـوبين عليـه لتعزيـز وجـودِه فـي الـوزارة.

بعـدَ وزارة الصِّحَّـة اسـتلمَ الحـزبُ بنفسِـه وزارة الأشـغال العامَّـة لأوَّل مـرَّة فـي تاريخـه فـي حكومـة نجيـب ميقاتـي الحاليَّـة عبـر الوزيـر علـي حميَّـة. ويقـول الدَّكتـور خالـد العِـزِّي فـي حديـث إلـى قنـاة «العربيَّـة» أنَّ ثمَّـة ثلاثـة أسـباب دفعـت «حـزب اللـه» إلـى تولِّـي الـوزارة وهـي؛ الإشـراف علـى إعـادة إعمـار مرفأ بيـروت الـذي يخضـع لسـلطة الـوزارة، تعزيـز سـلطتِه علـى المطـار، وتعزيـز سـيطرتِه علـى المعابـر الحدوديَّـة، إذ إنَّ وزارة الأشـغال العامـة هـي الـوزارة المعنيَّـة بالإشـراف علـى المرافـئ البريَّـة والبحريَّـة والجويَّـة ويُخصَّـص لهـا موازنـة سـنويَّة كبيـرة. ويُضيـف العـزِّي أنَّ الحـزب يسـتخدم هـذه الـوزارة الخدماتيَّـة مـن أجـل حسـاباتٍ انتخابيَّـة وهـذا مـا دفعـه إلـى الإصـرار عليهـا فـي هـذه الحكومـة. ولعـلَّ أهـمَّ هـذه الأسـباب هـو مسـألة مرفأ بيـروت إذ إنَّ الحـزب لـم يتسـلَّم وزارة الأشـغال العامـة إلَّا فـي أوَّل حكومـة شُـكِّلت بعـدَ تفجيـر المرفـأ فـي الرَّابـع مـن آب ٢٠٢٠. بينمـا تُشـير الدَّكتـورة فيَّـاض إلـى أنَّ الحـزب يسـتفيد مـن الصفقـات المرتبطـة بأعمـال البُنـى التحتيَّـة، بخاصَّـةٍ مـدِّ شـبكات الاتِّصـالات ضمـن نطـاق البلديـات والتـي تُلـزَم لشـركات خاصَّـة، إضافـةً إلـى أنَّ الحـزب كان يُريـد الإشـراف علـى اتِّفـاق إيصـال الغـاز المصـري إلـى لبنـان والـذي يُفتـرضُ أن تُشـرف عليـه وزارة الأشـغال العامـة.

تتقاطـعُ هـذه التَّحليـلات مـع العقوبـات الأميركيَّـة علـى وزيـر الأشـغال العامـة السـابق يوسـف فنيانـوس (٢٠١٦ - ٢٠٢٠) علـى خلفيَّـة تسـهيلِه أعمـال «حـزب اللـه» وتأميـن عقـود حكوميَّـة لشـركات تابعـة لـ«حـزب اللـه» كشـركتَيْ «آرش» و«معمـار» التَّابعتَيْـن للمجلـس التنفيـذي لـ«حـزب اللـه»، وقـد ضَمِـنَ فنيانـوس حصولَهُمـا علـى عقـودٍ حكوميَّـة بملاييـن الـدُّولارات. إضافـةً إلـى اتِّهامِـه بمسـاعدة الحـزب علـى الوصـول إلـى وثائـق قانونيَّـة حسَّاسـة متعلِّقـة بالمحكمـة الخاصَّـة باغتيـال الرَّئيـس رفيـق الحريـري.

«حزب الله» والوظائف العامَّة:

إضافـةً إلـى توظيفِـه لعـددٍ مـن المحسـوبين عليـه فـي بعـضِ الـوزارات، يتشـارَكُ «حـزب اللـه» مـع «حركـة أمـل» فـي تعييـن موظَّفـي الفئـة الأولـى مـن الشِّـيعة البالـغ عددهـا ٣٣ وظيفـة مـن أصـل ١٥٧ بحسـب «الدَّوليـة للمعلومـات». وحصَّـةُ الشِّـيعة التـي يحتكرُهـا الثُّنائـي هـي الوظائـف التَّاليـة: رئيـس الجامعـة اللبنانيـة، رئيـس المجلـس الأعلـى للجمـارك، النَّائـب الأول لحاكـم مصـرف لبنـان، المديـر العـام للاقتصـاد والتجـارة، المديـر العـام للشـؤون الاجتماعيـة، المديـر العـام للأمـن العـام، المديـر العـام للشـؤون السياسـية واللاجئيـن فـي وزارة الداخليـة، محافـظ النبطيـة، الأميـن العـام للمجلـس الوطني للبحـوث العلميـة، مديـر عـام الإعـلام، مديـر عـام المغتربيـن، المفتّـش العـام التّربـوي، رئيـس ديـوان المحاسـبة، المديـر العـام للشـباب والرياضـة، مديـر عـام الضمـان الاجتماعـي، نائـب رئيـس مجلـس الإنمـاء والإعمـار، المديـر العـام لمجلـس الجنـوب، المديـر العـام للمصلحـة الوطنيـة لنهـر الليطانـي، عضـو لجنـة الرقابـة على المصـارف، المديـر العام للتعليـم المهنـي والتقنـي، المديـر العـام للمجلـس الاقتصـادي والاجتماعـي، المديـر العـام لإدارة حصـر التبـغ والتنبـاك، رئيـس المجلـس التنفيـذي للمكتـب الوطنـي للـدواء، عضـو الهيئـة العليـا للتأديـب، مفتّـش عـام فـي التنفتيـش المركـزي، رئيـس فـرع الشـؤون القانونيـة فـي رئاسـة مجلـس الـوزراء، المديـر العـام للاسـتثمار فـي وزارة الطاقـة، رئيـس شـركة إنتـرا للاسـتثمار، المديـر العـام لبنـك التمويـل، المديـر العـام لمؤسسـة ميـاه لبنان الجنوبـي، الأميـن العـام لمجلـس النـواب، مديـر إدارة الريجـي.

المرفأ بعد انفجاره، المصدر: سكاي نيوز

ويُشـير بعـض المراقبيـن إلـى أن «حـزب اللـه»، مـن خـلال وفيـق صفـا، عمِـد إلـى إدخـال عـددٍ مـن تلامـذة ضبـاط إلـى الكليـة الحربيـة مقابـل مبالـغ ماليـة كبيـرة. بينمـا تؤكِّـد الولايـات المتحـدة أن «حـزب اللـه» يسـعى بشـكل كبيـر إلـى توظيـف مئـات المحسـوبين عليـه فـي مختلـف قطاعـات الدولة الرسـمية.

كمـا سـيطر «حـزب اللـه» علـى المؤسسـة الرسـمية الشـيعية، المجلـس الشـيعي، بعـد وفـاة رئيسـه السـابق عبـد الأميـر قبـلان. وقـد ظهَـرت سـيطرة الحـزب علـى المجلـس فـي عـدّة مواقـف أبرزهـا؛ زيـارة بكركـي الأخيـرة التـي دعـت إليهـا بمبـادرة مـن الرسـول البابـوي وحضرهـا كل رؤسـاء الطوائـف فـي لبنـان وامتنـاع الشـيخ علـي الخطيـب عـن تلبيتهـا بنـاء لرغبـة «حـزب اللـه» بالرغـم مـن موافقـة «حركـة أمـل» علـى تلـك الزيـارة.

وتُشـيرُ بعـضُ التَّحليـلات إلـى أنَّ «حـزب اللـه» صـارَ أكثـر مُشـاركةً فـي تسـمية الموظَّفيـن مـن حصَّـة الشِّـيعة، بعـدَ أن كان هـذا الأمـرُ مـوكلًا إلـى «حركـة أمـل» وفـق الاتِّفـاق الـذي أنهـى الحـرب بينهمـا عـام ١٩٩٠. حتَّـى أنَّ الحـزب والحركـة قـد اتَّفقـا علـى المُناصفـةِ بينهمـا فـي مـا يتعلَّـق بحصَّـة الشِّـيعة مـن وظائـف الفئـة الأولـى التـي كانـت شـاغرة فـي العـام ٢٠١٩. وفـي العـام ٢٠٢٢ أيضًـا ظهـرَ هـذا التَّفاهُـم بيـن الحـزب والحركـة حول التَّعيينـات حيـن قـامَ المُعـاوِن السِّياسـي للرَّئيـس نبيـه بـرِّي علـي حسـن خليـل، والمعـاون السياسـي للأميـن العـام للحـزب حسـين خليـل، بزيـارةٍ إلـى الرَّئيـس ميقاتـي واتَّفقـا معـه علـى تعييـن نائـب للمديـر العـام لجهـاز أمـن الدولـة الـذي كان شـاغرًا آنـذاك. كمـا أنَّ الأدبيَّـات الصحفيَّـة، إن جـاز التَّعبيـر، صارت تتـداولُ بكثرةٍ عبـارةَ «محسـوب علـى الثُّنائـي الشِّـيعي» فـي دلالـةٍ واضحـةٍ إلى حجـم حضـور الحـزب فـي ملـفِّ التَّوظيفـات، خلافًـا لمـا يدَّعـي.

بيـدَ أنَّ علاقـةَ «حـزب اللـه» بالموظَّفيـن الكبـار فـي الدَّولـة تعودُ إلـى فتـرةٍ بعيـدةٍ نسـبيًّا، أشـهرُها رئيـس أمـن المطـار، وفيـق شـقير، الـذي أدَّى قـرارُ حكومـة السـنيورة يومهـا بإقالتِـه وبإغـلاق شـبكة الاتَّصـالات الخاصَّـة بـ«حـزب اللـه» إلـى اسـتعمال الحـزب لسـلاحِه فـي الدَّاخـل اللُّبنانـي بمـا عُـرف بأحـداث السَّـابع مـن أيَّـار عـام ٢٠٠٨، والتـي انتهـت بعقـد اتِّفـاق الدَّوحـة الـذي أعطى لـ«حـزب اللـه» وحلفائـه ١١ وزيـرًا مـن أصـل ٣٠؛ أي حصلـوا على الثُّلـث المُعطِّـل فـي الحكومـة.

الوحدة ٩٠٠: «جيستابو» «حزب الله»

فـي العـام ٢٠١٨ كشـفَ تحقيـقٌ دولـيٌّ أنَّ «حـزب اللـه» مُتغلغـلٌ بشـكلٍ كبيـرٍ فـي مؤسسـات الدَّولة اللُّبنانيـة وبخاصَّة المؤسسـات الأمنيـة. ويُـورد التَّحقيـق إنَّ الحـزب أنشـأ وحـدةً خاصَّـة تُسـمّى الوحـدة الأمنيـة أو «الوحـدة ٩٠٠» وكان يُديرُهـا القيـادي يوسـف نـادر، المعـروف باسـمَيْ نـور الدِّيـن وعـزّ الديـن. تتعامـل هـذه الوحـدة مـع عـددٍ كبيـرٍ مـن الموظَّفيـن ومديـري قطاعـاتٍ مختلفـة فـي المؤسسـات اللبنانيـة. ويُشـيرُ التَّحقيـقُ إلـى تواجـدٍ لـ«حـزب اللـه» فـي مراتـب عُليا فـي الجيـش والقضـاء والمصارف والمكاتـب الحكوميَّـة والـوزارات. ومُعظـمُ عمـل هـذه الوحـدة هـو أمنـي للتَّجسُّـس علـى الدَّولـة اللبنانيـة ومؤسّسـاتها، حيـثُ يُعتمـذُ التنسـيق بيـن المسـؤولين الحكومييـن و«الوحـدة ٩٠٠» عبـر ضابطَـيْ الأمـن فـي «حـزب اللـه» سـعيد بيـرم ونزيـه صالـح.

فـي المُقابـل تنقـلُ قنـاة «الحـرَّة» الإخباريَّة عن أحد «المُنشـقِّين» عـن «حـزب اللـه» أنَّ عناصـرَ مـن هـذه الوحـدة يقومـون بنقـل المعـدّات العسـكريَّة فـي المناطـق التـي لا يُسـيطرُ عليهـا الحزب بشـكلٍ مُباشـر، حيـثُ يقـوم الحـزب بشـراء عقـاراتٍ وأراضٍ باسـم شـركات مملوكـة مـن منتسـبين للتَّيَّـار الوطنـي الحـر ويقـوم عناصـر الوحـدة ٩٠٠ بنقـل المعـدَّات إلـى هـذه العقـارات. ويمتلـكُ عناصـرُ هـذه الوحـدة بطاقـاتٍ عسـكرية صـادرة عـن جهـة أمنيـة رسـميّة مقرَّبـة مـن الحـزب لتسـهيل مهامِهـم التـي يصفُهـا الحـزب بأنَّهـا خارجيَّـة؛ أي بعيـدة عـن مناطـق نفـوذه.

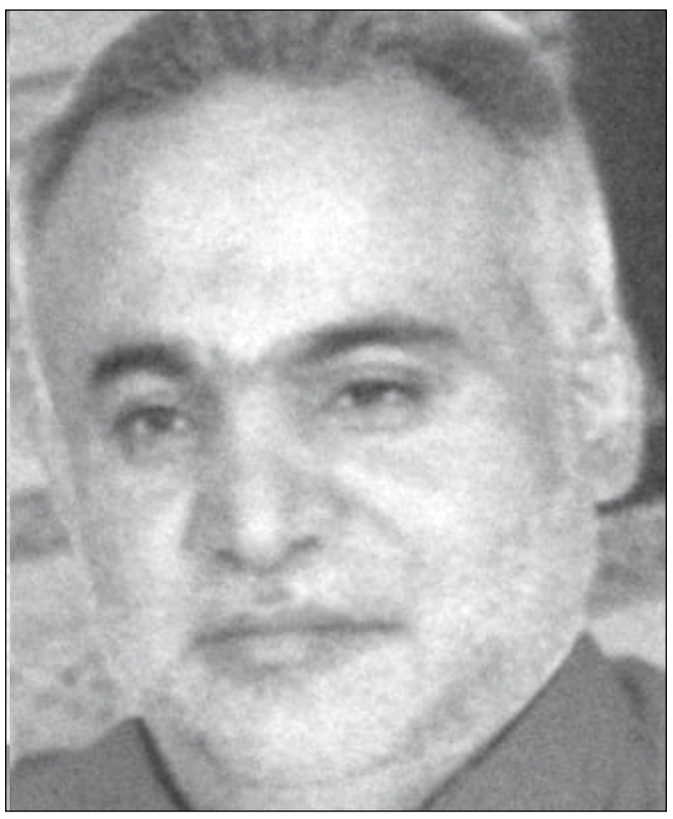

القيادي في «حزب الله» يوسف نادر. المصدر: موقع الرؤية

خاتمة:

بـاتَ حـزبُ اللـه متواجـدًا بشـكلٍ مُباشـرٍ فـي مؤسسـات الدَّولـة وشـريكًا فـي احتـكار حصَّـة الشِّـيعة فـي نظـام المُحاصصـة القائم بعـد الحـرب. ولا يُخفـى أنَّ «حـزب اللـه»، الـذي يُجيـدُ اللَّعـبَ السِّياسـيَّ، يُفضِّـلُ وجـودَ حُلفائـه فـي مؤسسـات الدَّولـة أكثـر من وجـودِه هـو بشـكلٍ مُباشـر، إذْ إنَّ ذلـكَ يُمكِّنُـه مـن اسـتغلال الدَّولـة لحسـاباتِه الخاصَّـة دون أن يُقـدِّمَ نفسَـه إلـى أنصـارِه كمسـؤول عـن الانهيـار الـذي أصـابَ البلـد. إضافـةً إلـى كـون حلفائـه، كنبيـه بـرِّي مثـلًا، يُشـكِّلون قنـوات تواصـل مـع الأطـراف الأخـرى داخليًّـا وخارجيًّـا.

والجديـرُ بالذِّكـر أنَّ «حـزب اللـه» لا يسـتفيد مـن تواجـدِه فـي نظـام المُحاصصـة كمـا تسـتفيد الأحـزب الأخـرى، إذ إنَّـه يسـتغلُّ هـذا التواجُـد مـن أجـل مشـروعه السِّياسـيِّ ومـن أجـل تحصيـل المزيـد مـن المكاسـب علـى المسـتوى اللُّبنانـيِّ مـن جهـة، وعلى المسـتوى الشِّـيعي مـن جهـةٍ أخـرى؛ أي علـى حسـاب «حركـة أمـل» وفـقَ مُعادلـةٍ مُؤدَّاهـا؛ إنَّ ضعـفَ الدَّولـة يُضعِـفُ «حركـة أمـل» ويُقـوِّي «حـزب اللـه». ويظهـرُ مـن مُراقبـةِ أداء «حـزب اللـه» أنَّـه رغـمَ عـدمِ ذكـرِه لولايـة الفقيـه فـي الوثيقـة السِّياسـيَّة التـي أصدرَهـا فـي العـام ٢٠٠٩، إلَّا أنَّ مشـروعَه الرَّامـي إلـى جعـل لُبنـان تحـتَ حُكـم النِّظـام الإيرانـيِّ لـم يـزَل مشـروعًا قائمًـا. وفـي سـبيل ذلـكَ يسـتغلُّ الحـزبُ تواجُـدَه فـي الدَّولـة من جهـة، ويتنصَّـلُ مـن كُلِّ الاتِّفاقـات التـي يُوقِّعُهـا مـن جهـةٍ أخرى، حتَّـى اتَّفـاق وقـف إطـلاق النَّـار مـع «حركـة أمـل». وتاليًـا، إنَّ دفـاعَ «حـزب اللـه» عـن النِّظـام اللُّبنانـي الـذي كان قائمًـا خـلال أحـداث ١٧ تشـرين ليـس لأنَّ «حـزب اللـه» يلعـبُ دور «الحامي» للنِّظـام، وإنَّمـا لأنَّـه شـريكٌ وازنٌ فيـه. ■

الحرب في الجنوب على مشارف عامها الأول:
محطات من نظرة الجنوبيين إليها

أحمد خواجة

«الحمد لله اللّي تحررني»، عبارة أطلقتها سيدة مسنّة من جنوب لبنان في العام ٢٠٠٠ إثر انسحاب الجيش الإسرائيلي من الجنوب والبقاع الغربي، وقد لاقت هذه العبارة التي تُظهر لكنَة السيدة الجنوبية بشكل واضح انتشارًا واسعًا، وباتت تُستخدم على نطاق واسع حتى من باب التهكّم أحيانًا، فيما خان التعبير سيدة أخرى عندما أرادت إبداء غضبها من إسرائيل إذ قالت «الله يهدِّك يا إسرائيل ويهدّ عدوّينك» باللكنة الجنوبية نفسها، فصارت هذه العبارة هي الأخرى متلازمة ومحطة كلامية يستخدمها الجنوبيون واللبنانيون بشكل عام للتعبير عن يأسهم من كل شيء.

موسم صيفي واعد ذهبَ أدراج الرياح

يمتلك أبو حسن مؤسسة لبيع الأدوات المنزلية في إحدى قرى قضاء بنت جبيل خارج الشريط الحدودي، في هذه الفترة من السنة يكون «الشغل متل النار»، في العادة ننتظر الموسم الصيفي بفارغ الصبر، مغتربون ومصطافون يأتون من بيروت، يشترون مكيّفات ومراوح وأجهزة للمطبخ وأوانٍ وكراسٍ وطاولات وتحف وأمور أخرى، اليوم الأمر مختلف كليًّا وحركة البيع شبه معدومة، الناس «وضعها على قدّها» والأزمة طالت الجميع، سكان المنطقة خسروا الكثير من مداخيلهم نتيجة لانهيار الموسم الصيفي، والمهجّرون فقدوا بدورهم مصادر رزقهم، والمساعدة التي يحصلون عليها من الجهات الحزبية بالكاد تكفي لتأمين الاحتياجات اليومية.

بالقرب من محل أبو حسن يتواجد مقهى صغير يضمّ بضع طاولات وماكينة لصنع القهوة وثلّاجة للمرطبات، يقصدها بشكل يومي شبّان في العقدين الثالث والرابع من العمر، يشربون القهوة ويلعبون الورق وطاولة النَّرد، فيما يعرض التلفاز الصغير المعلّق على الحائط المقابل لهم قناة «الميادين»، صوت التلفاز منخفض بشكل يجعلك لا تفهم ما يقوله ضيوف البرنامج الحواري، لا أحد من الحاضرين يأبه أصلًا، فبعكس الأيام الأولى للحرب حيث كان الجميع يتلهّفون لمعرفة ما يجري، وينتظرون النشرات الأخبارية والتحليلات التي تضفي في الغالب أجواءً إيجابية، فقد أصبح اليوم الملل واللامبالاة سيدَي الموقف، فلم يعد أحد يهتمّ لما يقولونه في التلفاز، واكتفى الناس بالأخبار العاجلة التي تصلهم إلى هواتفهم النقّالة لتخطرهم بكل جديد في ما يخصّ الغارات والقصف المدفعي وما إلى ذلك.

يقول حسان، ٣٤ سنة، أنه يقصد المقهى كل يوم ويقضي فيه ساعات طويلة، لأنه ليس لديه شيء آخر ليعمله، فهو حاول إيجاد عمل بعد نزوحه من قريته مارون الراس دون أن يوفّق في ذلك، هو بالأساس عامل بناء و«الورشات» اليوم كلها متوقّفة كما تعلمون، يهزُّ رفاقه في المقهى رؤوسهم موافقين.

الحرب غيّرت حياة الجنوبيين

غيّرت هذه الحرب حياتنا، يضيف حسان، حتى أننا بتنا نحلم بالعودة إلى حياتنا قبل التهجير، بكل ما فيها من فقر وتهميش وشظَف عيش، فعلى الأقل كنّا نسكن في بيوتنا ونشعر بالأمن والأمان، هي أمور لن يشعر بقيمتها إلّا من يفقدها.

يعيش حسان مع زوجته وابنتيه في شقة صغيرة خارج الشريط الحدودي، قدّمتها لهم إحدى العائلات التي تقطن في العاصمة في الأسابيع الأولى من الحرب، بالإضافة إلى الأضرار المادية والخسائر الكبيرة التي مُنيت بها عائلته، يخاف حسان اليوم من التبعات النفسية والذهنية على ابنتيه، الكبرى تبلغ من العمر سبع سنوات، لديها رُعب حقيقي من الأصوات القوية. عندما كانوا في مارون الراس سقطت قذيفة قرب منزلهم المتاخم للحديقة المعروفة في القرية، وكانت الفتاة تحمل لوحًا من الشوكولا في يدها، أصيبت بحالة رعب فأغلقت يدها ضامّة قطعة الشوكولا بأصابعها إلى راحة يدها، وبقيت لعدة ساعات عاجزة عن فتح يدها مرة أخرى، ليقرِّر الأب في اليوم نفسه مغادرة بلدته وعدم الانتظار أكثر وتعريض عائلته لمواقف مشابهة.

أما ابنته الصغرى ذات السنة والنصف من العمر، فهي اليوم تعيش رعبًا كبيرًا لدى سماع جدار الصوت وتدخل في نوبة بكاء طويلة، «كيف سنشفى من هذا الأمر كله؟» يسأل حسان.

وسائل التواصل مرآة مشوهة لما يجري على الأرض

وجد عشرات الآلاف من الجنوبيين أنفسهم في خضمِّ حرب تدور رحاها منذ أكثر من عشرة أشهر بين «حزب الله» و«إسرائيل»، وهي حرب مرتبطة بحسابات إقليمية ودولية لا قدرة لهم كمواطنين في التأثير على مجراها، فيما رأيهم حول الحرب سواء كان بالإيجاب أو بالسالب، فهو رأي لا يقدّم ولا يؤخّر على الأغلب، فلا رأي لمن لا يُطاع كما يقال.

اطلاق صواريخ من احدى القرى في جنوب لبنان. المصدر: فايسبوك

آراء الجنوبيين على اختلاف انتماءاتهم حول الحرب هي آراء متنوعة ومتباينة، حتى وإن حاول الإعلام الذي يدور في فلك «حزب الله» تصوير العكس، والإيحاء بأن الجنوبيين لهم موقف موحّد وحاسم من الحرب.

طالت الحرب بوَيلاتها السواد الأعظم من الجنوبيين سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، وكما هو معروف في الحروب فإن المعاناة تختلف وتتفاوت بين شخص وآخر وبين عائلة وأخرى، وممّا لا شكّ فيه فإن سكان الشريط الحدودي دفعوا الثمن الأكبر للحرب، إذ تركزت معظم النشاطات العسكرية والغارات الحربية داخل الشريط الحديدي أي المنطقة التي انسحب منها الجيش الإسرائيلي في العام ٢٠٠٠، وهو يشمل ٤٠ قرية تقريبًا تمتدّ من شبعا شرقًا حتى الناقورة غربًا، وهي مقسّمة إلى ثلاثة قطاعات هي الشرقي والأوسط والغربي.

هل أصبح حُلم العودة مستحيلًا؟

بالقرب من محل تجاري في ساحة إحدى القرى التي استقبلت مئات النازحين، يجلس مجموعة من الرجال مساء كل يوم منتظرين أذان المغرب للذهاب إلى المسجد. يزجُون الوقت بشرب القهوة والشاي وإلقاء بعض النكات، باتوا مؤخرًا يأنفون الخوض في الأحاديث السياسية بعدما أصبحت مملّة ومكرّرة، هم يريدون شيئًا واحدًا فقط: «العودة إلى قراهم».

يتجاذب الجالسون الموزعين على كراسٍ ومقعد إسمنتي بنَته البلدية قبل سنوات، أطراف الحديث، أحاديث عشوائية وغير منتظمة تتناول حال الطقس وارتفاع الأسعار وساعات الملل الطويلة، فيما تأخذهم الذكريات في بعض الأحيان إلى الفترة التي سبقت تهجيرهم، فيتكلمون عنها بحنين كبير وكأن الأمر حصل قبل سنوات بعيدة.

تغيّرت الأحاديث والتعليقات كثيرًا مع تقدّم الأيام، في الأسابيع الأولى للحرب كان الشعور العام لدى النازحين هو أنهم أمام حرب قصيرة ومحدودة لن تدوم طويلًا، وأنهم سيعودون إلى منازلهم عمّا قريب، يعتمدون في شعورهم هذا على تحليلات واستنتاجات من المواقع الإخبارية ومجموعات «الواتسآب» التي انتشرت بشكل مهول في السنوات الأخيرة، ويدير معظمها ناشطون ومؤثّرون يدورون في فلك الثنائي الشيعي «أمل وحزب الله» ويعملون ضمن الضوابط التي تُوضع لهم، وهي مجموعات تبثّ على الدوام أجواء وسرديّات انتصارية بهدف خلق حالة تفاؤل لدى جمهور البيئة الشيعية، وهي لا تكون صحيحة أو واقعية بالضرورة.

الحزن والإحباط شعور عارم في الجنوب اليوم

في الفترة الأولى كانت تتردّد عبارات مثل أن الجيش الإسرائيلي لا يمكنه الحرب على أكثر من جبهة، وأن حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لن تصمد طويلًا وستسقط تحت ضغط الشارع، وأن الأولوية ستكون للحصول على الرهائن الإسرائيليين المتواجدين في غزة، ما سيتيح لمحور «الممانعة» إعلان «النصر المبين» في هذه المعركة، وتوظيف هذا النصر واستثماره في الدول التي ينشط فيها عمل أذرعة إيران.

الأجواء الإيجابية التي بُثت في البداية، خفّفت من وطأة النزوح على سكان القرى الجنوبية، باعتبار أن الأمر سريع ومؤقت والأضرار محدودة ويمكن بسهولة التعويض على المتضررين، إلّا أن استمرار الأزمة شهرًا بعد شهر، والتضارب في الأنباء كلّ مرّة حول اقتراب حصول صفقة تُنهي هذا الكابوس، ومن ثم انهيار المفاوضات والعودة إلى نقطة الصفر، جعلت الناس يشعرون وكأنهم يدورون في دائرة مفرغة.

كان عباس ٢٣ سنة وهو نازح من قرية عيترون، يشاهد على هاتفه مقطع فيديو لشبان يحتفلون على دراجاتهم النارية في الضاحية الجنوبية لبيروت عقب الخطاب الأخير لأمين عام «حزب الله»، والذي دعا فيه الناس للعودة إلى بيوتهم، يقول ساخرًا «أليس علينا أن نعود إلى منازلنا، أم أننا غير مشمولين بالخطاب»، يجيبه نازح آخر في العقد الخامس من العمر: «لماذا يحتفلون في بيروت؟ هل انتهت الحرب؟ ما هذه المسخرة؟».

يسكن عباس اليوم في بلدة صريفا التي نزح إليها مع إخوته ووالديه في الأسبوع الثالث من الحرب، يقول الشاب إن عشرات العائلات من عيترون تتواجد اليوم في صريفا، وأنهم بدأوا بتشكيل مجتمع خاص بهم، حيث أصبح هناك اليوم ما يعرف بـ«الحي العيتروني في صريفا» على حدّ تعبيره، دكان وملحمة ومحل لبيع الهواتف ومؤسسات صغيرة أخرى وكأنك أمام سوق تجاري مصغّر ومخصّص للنازحين. تواجد الكثير من أهل عيترون في صريفا جعل بعض الفتية يُزيلون اسم صريفا عن إحدى الإشارات التي تدلّ على مدخل القرية واستبداله بعيترون من باب المزاح، ما خلق توتُّرًا بسيطًا بين الطرفين.

يقول عباس إن عائلته تحصل على مئتي دولار أميركي شهريًا يقدّمها لهم «حزب الله»، شأنهم في ذلك شأن جميع الأُسر النازحة من الشريط الحدودي، وهو مبلغ بحسب «عباس» بالكاد يكفي لأسبوع واحد. هل تشعر بالامتنان؟ يجيب عباس: «أعيدوني إلى قريتي وسأعطيهم من عندي مئتي دولار كل شهر».

حاول عباس إيجاد عمل ليساعد في إعالة أسرته أثناء النزوح، إلّا أن فُرص العمل قليلة جدًا والراغبون في الحصول على إحداها أكثر من أن يُعدوا أو يُحصَوا.

ما كان عملك في عيترون؟ يجيب عباس «أعمل في زراعة التبغ مع والديّ، هما بدورهما ورَثا هذه المهنة عن والديهما، لا أعلم كيف بدأ الأمر، تشعر وكأن زراعة التبغ مع كل التعب والإرهاق الذي يلازمه وانتظار قبض ثمنه نهاية العام وكأنه أمر فُرض علينا».

يضيف عباس «نحن أناس منسيّون، قبل التحرير كنا منسيين، وبعده بقينا كذلك، نحن اليوم ندفع الثمن الأكبر، خسرنا بيوتنا ومواسمنا، وهجُّرنا من قرانا، وتسمّمت أرضنا بسبب القذائف الفوسفورية، ولا أحد يهتم لأمرنا».

نـزح أبـو مصطفـى مـن قريـة العديسـة الحدوديـة واسـتقرَّ فـي خربـة سـلم، فـي اليـوم الثالـث للحـرب خسـر الرجـل الأربعينـي منزلـه، وبعدهـا بأيـام أصابـت قذيفـة محلـه التجـاري المخصَّـص لبيـع المـواد الغذائيـة.

عندمـا يسـقط أحـد مقاتلـي «حـزب اللـه» أو «حركـة أمـل» فـي المواجهـات الدائـرة جنوبًـا، يتـمّ تحديـد هدنـة مؤقتة بيـن الأطراف المتنازعـة برعايـة اليونيفيـل، تمتـدّ لسـاعات محـدودة لكـي تتـمّ عمليـة التشـييع والدفـن. يقـول أبـو مصطفـى إنـه يسـتغلّ هـذه الهدنـات الممنوحـة ليشـارك فـي الدفـن، ومـن ثـم التوجّـه إلـى محلـه المتضـرّر وإحضـار مـا أمكنـه حملـه مـن بضاعـة منـه.

الأضـرار المهولـة التـي ألحقتهـا الحـرب مـن تدميـر مئـات المنـازل والمؤسسـات التجاريـة، وارتفـاع تكلفـة إعـادة الإعمـار بشـكل قـد يفـوق قـدرة الدولـة اللبنانيـة أو «حـزب اللـه» علـى تغطيتـه، فيمـا الـدول العربيـة التـي سـاعدت لبنـان فـي إعـادة إعمـار لبنـان بعـد حـرب تمـوز فـي العـام ٢٠٠٦، فـإن معظمهـا اليـوم لم يعـد يُولي أي اهتمـام للبنـان، ويـرى أنـه أصبـح جـزءًا أساسـيًّا مـن المحـور الـذي تقـوده إيـران.

المهجّـرون يتخوّفـون اليـوم مـن أن تذهـب الوعـود بإعـادة الإعمـار أدراج الريـاح، فشـعارات مثـل «سـنعيدها أجمـل ممـا كانـت» قد لا تكـون واقعيـة اليـوم أو قابلـة للتحقـق، فـي المقابـل فـإن مؤشّـرات عديـدة ظهـرت فـي الأيـام الأخيـرة جعلـت أهـل الشـريط الحدودي يتخوّفـون مـن أن الحـرب سـتكون طويلـة، وأن عليهـم أن يتكيّفـوا مـع الحيـاة فـي قـرى التهجيـر والبـدء بالبحـث عـن مصـادر دخـل جديدة.

يعمـل ربيـع فـي معـرض لبيـع السـجاد والتحـف فـي ميـس الجبـل، البلـدة المعروفـة بمؤسسـاتها التجاريـة الكبيـرة المتخصصة ببيـع الأدوات المنزليـة والأثـاث المنزلـي والمفروشـات، ويقصدهـا الجنوبيـون مـن مناطـق بعيـدة لشـراء بضائعهـم.

تـرك ربيـع قريتـه كمـا فعـل معظـم سـكانها بسـبب الحـرب، يقـول إن الحـرب تزامنـت مـع موسـم السـجاد، وأن صاحـب العمـل كان اشـترى بضاعـة بمئـات آلاف الـدولارات قبـل أيـام مـن انـدلاع الحـرب، وقـد تـرك البضاعـة كمـا حـال زملائـه مـن أصحـاب المؤسسـات وهـرب مـن جحيـم الحـرب.

قبـل أيـام توجهت عشـرات الشـاحنات بمـؤازرة من الجيـش اللبناني واليونيفيـل إلـى ميـس الجبـل والقـرى المجـاورة، وعملـت علـى إخـراج كميـة كبيـرة مـن البضائـع والأدوات المنزليـة والمفروشـات مـن القريـة. يقـول ربيـع إن الأمـر أشـعره بالقلـق، وكأنهـم يريـدون بذلـك القـول لهـم إنهـم لـن يعـودوا إلـى بلدتهـم أبـدًا، وعليهـم أن يجـدوا مكانًـا آخـر لبيـع هـذه البضاعـة.

مخاوف من تحويل الشريط الحدودي إلى أرض محروقة

يتوقـف ربيـع عنـد ملاحظـة أخـرى تزيـد مخاوفـه، وهـي قيـام أحد المعاهـد التعليميـة فـي بنـت جبيـل بافتتـاح فـرع جديـد لـه فـي قريـة صفـد البطيـخ، ونقـل طـلاب فـرع بنـت جبيـل إليـه، كذلـك قامـت بعـض المـدارس خـارج الحـدود بتوسـيع بعـض أقسـامها لاسـتقبال عـدد أكبـر مـن الطـلاب، كلهـا دلائـل تشـير، بحسـب ربيـع، إلـى أننـا أمـام سـيناريوهين كلاهمـا صعـب ومريـر، أو حـرب مفتوحـة تدمِّـر كل شـيء تحـوِّل حياتنـا إلـى جحيـم، أو اسـتمرار الواقـع الحالـي لفتـرة طويلـة، وهـو أشـبه بمـوت بطـيء يسـتنزف أعصابنـا وأرواحنـا.

القصف الفسفوري على جنوب لبنان. المصدر: لبنان ٢٤

اضرار تصيب المنازل في جنوب لبنان. المصدر: الشرق الاوسط

اقتـراب انطـلاق الموسـم الدراسـي الجديـد يشـكّل عامـل ضغـط نفسـي جديـد علـى العائـلات النازحـة، النـاس لا يعرفـون أصـلًا أيـن سـيكونون بعـد أسـابيع أو أشـهر قليلة، هل سـيعودون إلـى قراهـم التـي هجّـروا منهـا؟ أم سـيبقون فـي القـرى التـي نزحـوا إليهـا؟ أم يتحقـق السـيناريو الأقسـى والأصعب ويجدون أنفسـهم مضطرين للتهجيـر مـرة أو مـرات أخـرى بحـال اندلعـت الحـرب الموسّـعة؟ نمـوذج غـزة يظهـر أمامهـم كشـبح، أرتـال مـن البشـر يحملـون أمتعتهـم علـى أكتافهـم ويتهجّـرون مـرة بعـد مـرة.

أم سـامي، والـدة لأربعـة أولاد، نزحـت مـن بلـدة ديـر سـريان واسـتقرت قـرب مدينـة النبطيـة، تقـول إن أولادهـا الذيـن يتعلّمـون فـي مدرسـة رسـمية داخـل الشـريط الحـدودي، توقّفـوا عـن التعليـم لأكثـر مـن شـهرين بعـد التهجيـر، قبـل أن تسـتأنف الـدروس عـن بُعـد «أونلايـن» مطلـع العـام الحالـي.

لا تؤمـن أم سـامي بجـدوى التعليـم عـن بُعـد، فقـد جرّبـوا الأمـر أثنـاء جائحـة كورونـا وكانـت النتائـج كارثيـة علـى حـدّ قولهـا، أمـا اليـوم فـإن الظـروف أصعـب، فخدمـات الإنترنـت سـيّئة جـدًا، والبيـت الـذي نزحـوا إليـه ضيـق المسـاحة ولا يمكـن لأربعـة تلامـذة أن يتابعـوا دروسـهم أونلايـن ويـؤدّوا واجباتهـم اليوميـة، فيمـا المسـاعدات التـي قدّمتهـا وزارة التربيـة مـن بطاقـات إنترنـت وألـواح «تابليـت» غيـر كافيـة ولا تفـي بالغـرض.

تنفـث أم سـامي الدخـان مـن سـيكارتها وتضيـف «نريـد لهـذا الكابـوس أن ينتهـي، الأثمـان التـي ندفعهـا كبيـرة جـدًا، شـبان بعمـر الـورود تصطادهـم الطائـرات والمسـيّرات، فـي بدايـة الأمـر كنـا متحمّسـين ونظـن أننـا سـننتصر كمـا كل مـرة، لكـن الواقـع مغايـر اليـوم، يمكنـك ملاحظـة الأمـر بسـهولة، كنـا نفـرح عندمـا يتـم إطـلاق صواريـخ مـن لبنـان، وعندمـا يسـقط قتلـى مـن الجانـب الآخـر، اليـوم صرنـا نتشـاءم مـن الأمـر ونعـرف أن هـذا يعنـي أننـا سـنكون أمـام ليلـة صعبـة».

أظهـر تقريـر أعدّتـه المنظمـة الدوليـة للهجـرة (IOM) مطلـع العام الحالـي، أن أكثـر مـن ٨٢ ألـف مواطـن نزحـوا مـن داخـل الشـريط الحـدودي واسـتقروا فـي مناطـق أقـل خطـورة، وقـد ارتفـع هـذا العـدد بشـكل مضطـرد مـع الوقـت ليتخطّـى حاجـز المئـة ألـف، مـع ارتفـاع وتيـرة العمليـات وتوسُّـع رقعـة المواجهـات.

بالمحصلـة، يمكـن القـول إن الإحبـاط والحـزن هـو الجـو العـام المسـيطر علـى الجنوبييـن، ويمكـن اليـوم أن تسـمع الهمَسـات المشـكِّكة بجـدوى فتـح جبهـة الجنـوب، وتعريـض أهلـه إلـى كل مـا عانـوه حتـى اليـوم، فـي وقـت تـمَّ تدميـر قطـاع غـزة، ولـم تنجـح جبهـة المشـاغلة فـي تخفيـف معانـاة الغزاوييـن.

هـذا هـو الجـو العـام فـي الجنـوب، أمـا مـا ينتشـر علـى مواقـع التواصـل مـن رغبـات بالحـرب والقتـال وتحقيـق النصـر، فهـو مجـرّد كلام اسـتعراضي لا يعكـس مـا يحصـل علـى أرض الواقـع. ■

«حزب الله» أو مسار التحوّل إلى المافيا المنظمة

مرحلة ما بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان

محمد عثمان

الانسحاب السوري واغتيال رفيق الحريري

بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحزب مع انسحاب الجيش الإسرائيلي من الشريط الحدودي لجنوب لبنان في أيار من العام ٢٠٠٠، فنشوة النصر الذي يعتبر أنه العامل الرئيسي فيه انعكست على كافة الصعد لا سيما على الداخل اللبناني وظهر ذلك جليًّا من خلال الانتخابات النيابية التي حصلت في العام ذاته. فقد حصَد مع «حركة أمل» وحلفائهما أكثرية في المجلس النيابي معتمدًا على تعبئة جماهيره بطريقة طائفية بحتة بالإضافة إلى الدعم السوري له في كل معاركه السياسية.

وبعد بضعة أشهر على الانسحاب الإسرائيلي ثم وفاة الرئيس السوري حافظ الأسد في ١٠ حزيران ٢٠٠٠ وبعد لقاء وريثه بشار ببعض السياسيين اللبنانيين أُجريت الانتخابات النيابية في العام ٢٠٠٠ ولم تختلف عن سابقتيها بعد الحرب وخضعت لضوابط النفوذ السوري، فكان تحالف «حزب الله - أمل» برعاية سورية إيرانية وتمّ توزيع المقاعد على حساب المسيحيين الذين قاطعوا الانتخابات يومها، جنوبًا وبقاعًا. حصل الحزب يومها على كتلة من ١١ نائبًا ضمن تحالفاته، مقابل ١٦ مقعدًا لبري. واستمر الأخير بشغل منصب رئيس مجلس النواب اللبناني منذ العام ١٩٩٢. ومن هنا بدأت الأزمات السياسية تتوالى وتألفت معارضة نيابية، بالشكل كانت ضد سياسة الحكومة إنما بالمضمون كانت تعارض التواجد السوري في لبنان، وبرزت عدة جبهات سياسية في هذا التوجُّه تكوَّنت من: «تيار المستقبل»، «القوات اللبنانية»، «حزب الكتائب»، «الحزب التقدمي الاشتراكي»، «حركة اليسار الديمقراطي»، «حركة التجدد الديمقراطي»، «حزب الوطنيين الأحرار» و«لقاء قرنة شهوان».

على وقع النداء الخامس، العالي السقف لمجلس المطارنة الموارنة الذي أذيع في نيسان ٢٠٠١، اجتمع مجلس الأمن وأصدر القرار رقم ١٥٥٩ في ٢ أيلول ٢٠٠٤ بأغلبية ٩ أعضاء وامتناع ٦ عن التصويت. ونصّ هذا القرار على مطالبة جميع القوات الأجنبية المتواجدة في لبنان الانسحاب منه والدعوة إلى حل جميع الميليشيات اللبنانية ونزع سلاحها. كما أكد على إجراء انتخابات رئاسية نزيهة دون أي تدخّل خارجي .

لم تمرَّ ٢٤ ساعة على صدور هذا القرار حتى حصل التمديد المخالف للدستور للرئيس إميل لحود بموافقة ٩٦ نائبًا ومعارضة ٢٩.

جاهرَ أمين عام «حزب الله» برفضه للقرار ١٥٥٩، لا بل ثبّت تحالفه وتنسيقه الدائم مع نظام آل الأسد في سوريا واعتبر، مع حليفه بري، أن وجود القوات السورية شأن داخلي لبناني.

هنا بدأت تتكشّف لقاءات المعارضة الوطنية بوجه الوجود السوري والهيمنة على القرار السياسي والانتقاص من السيادة اللبنانية فكان لقاء البريستول في ٢٣ أيلول ٢٠٠٤ الاجتماع الأبرز لتوحيد جهود المعارضة. ثم تمّت عملية اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية آنذاك الرئيس رفيق الحريري. ففي ١٤ شباط من العام ٢٠٠٥ وبعدما غادر الرئيس الحريري مجلس النواب عائدًا إلى مقرّ إقامته في منطقة قريطم سالكًا، بموكبه، الطريق البحرية دوّى انفجار ضخم، مستهدفًا الموكب عند محلة «السان جورج»، فقضى شهيدًا ومعه أغلب مرافقيه وبعض من كانوا في المنطقة، وقد بلغ عدد القتلى يومها الـ٢١ شخصًا.

وُجِّه الاتهام الأوّلي لنظام بشار الأسد بالاغتيال خصوصًا بعد التباين الشديد الذي حدث بين بشار الأسد والرئيس الحريري في شأن عملية التمديد للحود واتهام النظام السوري له بأنه كان طرفًا أساسيًّا في معارضة القرار السوري بالتمديد للحود وبدفع المجتمع الدولي لإصدار القرار ١٥٥٩.

بعد اغتيال الرئيس الحريري تعمّق الانقسام في البلد إلى فريقين، قسم معارض للوجود السوري وقسم حليف لآل الأسد وكان على رأسه «حزب الله» الذي دعا إلى مظاهرة حاشدة في ٨ آذار ٢٠٠٥ رافضًا لـ«قرار الفتنة» ١٥٥٩ على حدِّ قوله وموجِّهًا الشكر لسوريا الأسد على وقوفها سندًا للمقاومة وسدًّا منيعًا بوجه محاولة طعن تلك المقاومة.

اما على المقلب الآخر وبعد دعوات الشارع المعارض إلى تحقيق العدالة، وبعد أن كلّف الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي

اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، ١٤ شباط ٢٠٠٥. المصدر: الشرق الاوسط

أنان فريقًا من المحققين تأليف لجنة لتقصّي الحقائق في الاغتيال، ثم استقالة حكومة عمر كرامي تحت ضغط الشارع في ٢٨ شباط، ومع بداية إعادة انتشار القوات السورية نحو البقاع، دعت المعارضة إلى تظاهرة في الرابع عشر من آذار داعية لتطبيق القرار ١٥٥٩ وانسحاب القوات السورية من كامل الأراضي اللبنانية كما دعت إلى كشف قتلَة الرئيس الحريري ومحاسبتهم، وكانت هذه التظاهرة الأكبر والأوسع على مستوى الطوائف والأطياف اللبنانية المعارضة للوجود السوري، كما تمَّ الإعلان في ٢١ نيسان من العام ٢٠٠٥ عن ولادة «اللقاء الشيعي اللبناني» والذي ضمَّ أكثر من ٣٠٠ شخصية شيعية معارضة لـ«حزب الله» و«حركة أمل». وفي ٢٦ نيسان من العام نفسه انسحبت جميع القوات السورية من لبنان تطبيقًا للقرار ١٥٥٩.

انتخابات ٢٠٠٥ وانقلاب «حزب الله» على الحوار وحرب ٢٠٠٦

أخطأت قوى الرابع عشر من آذار في رهانها على ما أسمته لبننة «حزب الله»، فأقامت معه ومعه «حركة أمل» تحالفًا انتخابيًّا سمِّي بـ«التحالف الرباعي» ضمّ أحزاب: تيار المستقبل الذي يرأسه سعد الحريري خلفًا لوالده الشهيد؛ ورئيس كتلة اللقاء الديمقراطي وليد جنبلاط، فبعد أن كان الشارع الشيعي المعارض لأحادية قراره المتمثلة بثنائي «أمل -حزب الله» يطمح أن يُمثَّل بعدد وازن داخل البرلمان في ظلِّ رجحان الكفّة الشعبية لقوى ١٤ آذار، قامت الأخيرة بالتحالف مع «حزب الله» و«حركة أمل» وتخلّت عن حليفها الشيعي، فحصدت قوى ١٤ آذار يومها أكثرية نيابية ولكنها لم تمنع «حزب الله» من مصادرة القرار السياسي الشيعي، لا بل ازداد الحزب قوة وغطرسة وتسلّطًا على مقدّرات الطائفة.

وبعد موجة من الخلافات السياسية دعا نبيه بري إلى طاولة حوار في ٢ آذار ٢٠٠٦ للبحث بالعديد من القضايا وأهمها حلّ مشكلة سلاح «حزب الله» الذي اتفق على أن تتم مناقشته ضمن استراتيجية دفاعية، وعلى رغم إعلان الحكومة عن معطيات اقتصادية واعدة وبعد اتفاق سعد الحريري وحسن نصرالله على تبديد أجواء الاحتقان خلال الاجتماع الذي عقداه في مقر نصرالله في الضاحية الجنوبية لبيروت، استفاق اللبنانيون على خبر خطف «حزب الله» جنديين إسرائيليين في ١٢ تموز ٢٠٠٦ كما تمّ قتل ٨ جنود آخرين».

وفي ظلِّ تعنُّت أمين عام «حزب الله» في خلال مؤتمر صحفي وإعلانه أن الأسيرين لن يعودا إلا بتفاوض غير مباشر وعملية تبادل للأسرى، أعلنت حكومة فؤاد السنيورة أنها لم تكن على علم أبدًا بهذه العملية، قرّر مجلس الحرب الإسرائيلي على عملية عسكرية برّية داخل أراضي لبنان استمرت ٣٣ يومًا دمّرت إسرائيل خلالها معظم محطات الكهرباء والبُنى التحتية والجسور اللبنانية وعشرات الآلاف من الوحدات السكنية، كما نتج عن تلك الحرب ١١٤٥ قتيلًا لبنانيًّا وحوالى مليون نازح مقابل ١٥٦ قتيلًا إسرائيليًّا.

انتهت الحرب بإصدار مجلس الأمن للقرار ١٧٠١ القاضي بوقف إطلاق النار والاحترام الكامل للخط الأزرق من قبل الطرفين وإنشاء منطقة عازلة خالية من العناصر المسلحة بين الخط الأزرق ونهر الليطاني باستثناء الجيش اللبناني وقوات «اليونيفيل»، مع التطبيق الكامل لبنود اتفاق الطائف ذات الصلة بالقرارين ١٥٥٩ و١٦٨٠.

انقلاب «حزب الله» على الحكومة واحتلال الوسط التجاري لبيروت

تفاقمت الخلافات السياسية الداخلية بعد هذه الحرب والدمار الهائل الذي خلّفته وحجم الخسائر الاقتصادية التي قُدِّرت بـ٦ مليارات دولار. وفي ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٦ وعلى خلفية دعوة رئيس الحكومة فؤاد السنيورة إلى جلسة حكومية لإقرار المحكمة الدولية لمحاكمة قتلَة الرئيس الشهيد رفيق الحريري استقال الوزراء الشيعة الخمسة من الحكومة وطالبوا بحكومة وحدة وطنية، وبتأييد من الحليف المسيحي الأقوى لـ«حزب الله» «التيار الوطني الحر»، لكن تحالف ١٤ آذار الذي كان يملك أكثرية نيابية رفض ذلك تمامًا.

وفي الأول من كانون الأول ٢٠٠٦ احتل «حزب الله» وحلفاؤه الوسط التجاري لبيروت وعملوا على محاصرة السرايا الحكومية ونصبوا الخيَم في ساحة رياض الصلح امتدادًا حتى ساحة الشهداء، كما حصلت العديد من المشاكل التي أخذت بُعدًا طائفيًّا وسقط عدد من القتلى والجرحى في تلك الفترة.

بدأ خرق «حزب الله» للقرار ١٧٠١ منذ اللحظة الأولى لإيقاف الحرب. فعلى سبيل المثال ضبطت الجمارك اللبنانية شاحنة محملة بالأسلحة في شباط ٢٠٠٧ وأعلن «حزب الله» أنها تنقل ذخائر من البقاع إلى الجنوب متذرّعًا بالبيان الوزاري الذي يشرِّع المقاومة.

وفي العشرين من الشهر عينه حظرت وزارة الخزينة الأميركية التعاون التجاري مع مؤسسة «جهاد البناء» التابعة لـ«حزب الله» كونها تُعتبر المموّل الرئيسي للعمليات الإرهابية لـ«حزب الله».

لم تتوقف الاغتيالات في الفترة ما قبل حرب تموز ٢٠٠٦ وما بعدها، وكانت كل هذه الاغتيالات تطال رموزًا وقيادات من ١٤ آذار وكان المتهم السياسي الوحيد في هذه الاغتيالات نظام الأسد وحليفه «حزب الله». وفي ٢٠ أيار ٢٠٠٧ اندلعت اشتباكات بين الجيش اللبناني ومجموعة مسلحة تُطلق على نفسها اسم «فتح الإسلام»، واستطاع الجيش اللبناني القضاء على هذه الزمرة الإرهابية بعد حصاره لمخيم نهر البارد الذي كانت تتمركز فيه، ومن ثم تمَّ اقتحامه بالرغم من أن حسن نصرالله اعترض على حصار المخيّم واقتحامه واعتبره خطًّا أحمر.

أُقرَّت المحكمة الدولية الخاصة بلبنان (اغتيال رفيق الحريري) بموجب القرار ١٧٥٧ الصادر عن مجلس الأمن في ٣٠ أيار ٢٠٠٧، ومنذ إقرارها لم يترك «حزب الله» مناسبة أو خطاب إلا وهاجمها فيه، وقام نصرالله بحملة غير مسبوقة على القرار الظنّي قبل صدوره.

«٧ أيار» واستباحة بيروت

الطريق إلى اتفاق الدوحة ثم اتفاق الدوحة

ومع تفاقم أعمال «حزب الله» الأمنية وفي ظلِّ تمدّد شبكة الاتصالات الخاصة به وتمديد شبكته الاستخباراتية في البلاد من كاميرات مراقبة في معظم الأماكن والمرافق العامة، قامت حكومة الرئيس فؤاد السنيورة في ٥ أيار ٢٠٠٨ بإصدار قرارين يتعلّقان

٧ أيار ٢٠٠٨. المصدر: المدن

بشبكة اتصالات الحزب بعد أن اكتُشفت قضية وضع كاميرات مراقبة حول مدرج مطار بيروت لمراقبة حركة الزوّار والرسميين، فاعتبرت الحكومة أن هذه الأعمال تضرُّ بسيادة الدولة اللبنانية وتمسُّ الأمن القومي للدولة وأمرت بمصادرة شبكة الاتصالات التابعة للحزب وأُقيل رئيس جهاز أمن المطار آنذاك العميد وفيق شقير مما استدعى ردة فعل من الحزب و«حركة أمل» اللذين اعتبرا القرارين تجاوزًا للبيان الوزاري الداعم للمقاومة. واعتبرت المعارضة أن الحكومة وبخاصة رئيسها (فؤاد السنيورة) «تبنّت للمرة الأولى في تاريخ حكومات ما بعد اتفاق

الطائف موقفًا غريبًا لناحية اعتبار إجراءات المقاومة الأمنية بمثابة اعتداء على أمن الدولة». وأشارت إلى أن الحكومة قد رفعت «سقف المواجهة السياسية الداخلية بقرار إقالة قائد جهاز أمن المطار العميد وفيق شقير من منصبه، ما سيدفع قوى المعارضة ولا سيما «حركة أمل» و«حزب الله» إلى الردّ، كما هدّدت قوى المعارضة بالردّ على القرارات التي اتخذتها الحكومة باللجوء إلى «خطوات مقابلة تضع البلاد أمام وضع عصيب». ولم يتردَّد «حزب الله» وحلفاؤه جماعة السابع من أيار في استباحة بيروت والتعرُّض للمدنيين، كما قام بالاعتداء على تلفزيون المستقبل ودارت اشتباكات مسلحة بينه وبين أهالي بيروت، فاقتحم المنازل وأحرقها، ثم وجّه راجمات صواريخه نحو الجبل في ١١ أيار وحاول دخول المناطق المسيطر عليها من قِبل الزعيم الدرزي وليد جنبلاط ودارت معارك عنيفة بين الطرفين قتل فيها «حزب الله» العديد من المواطنين العزّل، ولكنه لم يستطع السيطرة على الجبل بعد تكبّده خسائر هائلة ضمن فصائله المقاتلة وأبرز نتائج تلك المعارك كانت مقتل ٧١ شخصًا من كلا الجانبين وأصيبت بعض الممتلكات بأضرار كبيرة، كما نشأت حالات توتر وصدامات مسلّحة بين أنصار كلا فريقي، الموالاة والمعارضة، خاصة في الشمال والبقاع.

بعد ذلك اضطرت الحكومة إلى التراجع عن القرارين الصادرين عنها بعد تدخل جهات عربية ودعت الفريقين إلى اجتماع في الدوحة.

بعد اجتماع الفرقاء اللبنانين في الدوحة والخروج باتفاق أنهى الأزمة السياسية اللبنانية والذي سُمّى بـ«اتفاق الدوحة»، ونتجت عنه مقررات، نعرض هنا أبرز ما جاء فيها:

• إنهاء المعارضة لاعتصامها في ساحة رياض الصلح.

• انتخاب المرشح التوافقي العماد ميشال سليمان رئيسًا للجمهورية اللبنانية.

• تشكيل حكومة وحدة وطنية من ٣٠ وزيرًا توزّعوا على الشكل التالي: ١٦ للموالاة و١١ للمعارضة و٣ من حصة رئيس الجمهورية، مع وجود وزير أسمي بالوزير الملك، وهو أيضًا من حصة الرئيس، وتتعهّد كافة الأطراف بمقتضى هذا الاتفاق بعدم الاستقالة أو إعاقة عمل الحكومة.

• الاتفاق على قانون انتخابي يرضي جميع الأطراف، ومناقشة البرلمان اللبناني لـ«البنود الإصلاحية» الواردة في اقتراح القانون الذي أعدّته اللجنة الوطنية اللبنانية.

بعدها حصلت هدنة هشّة (سياسيًّا وإعلاميًّا) في ما بين الموالاة والمعارضة، بعد أن استمر التوتر بينهما لمدة ١٨ شهرًا.

شبكات المخدّرات في لبنان وحول العالم

كان «حزب الله» في تلك الفترة وبموازاة عمله في الشأن الداخلي اللبناني يعمل على عدة صُعد دوليًّا وإقليميًّا لجني المال. ومن أهم مصادر أمواله كانت إدارة شبكات تجارة المخدرات حول العالم. وفي مقال نشره موقع «العربية نت» في ٦ أيار ٢٠٢٠ تحت عنوان «تغاضي أوباما عن تهريب «حزب الله» للمخدرات»، ذكر الموقع «إن الأحداث تعود إلى عام ٢٠٠٨ عندما تمَّ إطلاق حملة أمنية أُطلق عليها تسمية «مشروع كاساندرا» على إثر جمع إدارة مكافحة المخدرات الأميركية أدلّة تُثبت أن «حزب الله» تحوّل من منظمة عسكرية وسياسية تركّز على الشرق الأوسط إلى عصابة دولية للجريمة المنظمة تمارس أنشطة إجرامية تدرُّ مليار دولار سنويًّا، من بينها تهريب المخدرات والأسلحة وغسل الأموال. وعلى مدار الأعوام الثمانية التالية، استخدم العملاء التابعين لمنشأة إدارة مكافحة المخدرات السرية للغاية في شانتيلي بولاية فرجينيا، عمليات تعقُّب وتنصُّت على المكالمات الهاتفية وعمليات زرع عملاء سريين ومخبرين لرصد عناصر وعملاء شبكات «حزب الله» الإجرامية، بالتنسيق مع ٣٠ وكالة أمنية أميركية وأجنبية».

وبالفعل تمَّ تتبع تهريب شحنات كوكايين بعضها من أميركا اللاتينية إلى غرب أفريقيا ومن أوروبا والشرق الأوسط، وبعضها الآخر عبر فنزويلا والمكسيك إلى الولايات المتحدة. كما تمَّ تتبع مسارات غسيل الأموال، حيث كان عناصر «حزب الله» يلجأون إلى تكتيكات تتمثل في شراء السيارات الأميركية المستعملة وشحنها إلى إفريقيا. وبمساعدة بعض الشهود المتعاونين الرئيسيين، توصّل رجال مكافحة تهريب المخدرات الأميركيين إلى الدائرة الأعمق لـ«حزب الله» وإيران التي ترعى أنشطتها. لكن مع وصول «مشروع كاساندرا» إلى التسلسل الهرمي للمؤامرة، قام مسؤولو إدارة أوباما بوضع سلسلة من العوائق التي يتعذّر التغلب عليها بشكل متزايد، وفق ما ذكره عشرات ممن شاركوا في الحملة الأمنية والذين تحدّثوا في العديد من الحالات لأول مرة حول الأحداث التي تكتنفها السرية، بالإضافة إلى مطابقة أقوالهم مع الوثائق الحكومية وسجلات المحكمة. فعندما طلب قادة «مشروع كاساندرا» الموافقة على بعض التحقيقات والملاحقات والاعتقالات والعقوبات المالية المهمة، قام المسؤولون في وزارتي العدل والخزانة الأميركيتين بتأخير طلباتهم أو إعاقة أو رفض طلباتهم لفرض عقوبات على بنك متورّط في عمليات غسيل الأموال وعناصر تابعين لفيلق القدس الإيراني.

ويتضح من التفاصيل التي يوردها تحقيق مجلة «Politico» مدى التضارب بين رغبات إدارة أوباما وتغيير الأولويات على أعلى المستويات، الأمر الذي أدّى إلى إهدار سنوات من العمل وضياع الجهود التي بُذلت في نهاية المطاف.

هذا غيضٌ من فيض أعمال «حزب الله» كما بدت معالمها في تلك المرحلة حيث إنه وبين عامي ٢٠٠٧ و٢٠١٠ بدأت تظهر جليًّا عمليات تصنيع أخطر أنواع المخدرات على الاطلاق («الكبتاغون») وتصديره إلى الدول العربية لا سيما دول الخليج، وكان لـ«حزب الله» دور كبير في عمليات التصنيع حيث إن معظم المعامل كانت متواجدة في مناطق نفوذه في بعلبك وجرودها شرقي لبنان، كما ذكر تقرير أعدّته قناة الـmtv اللبنانية في أيار ٢٠١٠ والذي أوردت فيه إن إحدى شبكات الكبتاغون يديرها شقيق عضو كتلة الوفاء للمقاومة، النائب حسين الموسوي، الذي أصبح مطلوبًا للقضاء ومتواريًا عن الأنظار.

الانقلاب على إعلان بعبدا ودخول سوريا

وفي العودة إلى المشهد السياسي ومناكفات «حزب الله» مع معظم القوى اللبنانية، فإنه قام في العام ٢٠١١ بالانقلاب على حكومة الرئيس سعد الحريري تحت وطأة التهديد المباشر لوليد جنبلاط لتقديم استقالته ونشَر عناصره في بيروت بقمصانهم السود محاولًا دبَّ الذعر في قلوب اللبنانيين.

وبعد دعوة رئيس الجمهورية ميشال سليمان في ١١ حزيران ٢٠١٢ إلى طاولة حوار في بعبدا لكل الفرقاء، وبعد الاتفاق خلالها على إعلان بعبدا الذي دعا إلى النأي بالنفس وعدم التدخّل في شؤون الدول العربية، وبعد توفير حضانة عربية ودولية بإرسال نسخ منه إلى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، وبعد موافقة «حزب الله» على هذا الإعلان، يطلُّ على الإعلام رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد ليُعلن للبنانيين تبرّؤ حزبه من إعلان بعبدا، ومضيفًا: «بلّوه واشربوا ميتو (مياهه) »، بكل عجرفة.

بعد ذلك وبدون سابق إعلان أو إخبار أو استشارة بقية الفرقاء في الحكومة قرّر الحزب مساندة حليفه الأسد في حربه ضد الشعب السوري. ففي ٢ تشرين الأول من العام ٢٠١٢ نقلت وكالة «رويترز» للأنباء عن مصدر أمني أن قائدًا عسكريًّا في ««حزب الله»» وبضعة مقاتلين آخرين سقطوا في سوريا. كما أشارت قناة «العربية» السعودية أن القائد التنظيمي لعمليات «حزب الله» في سوريا محمد حسين ناصيف الملقب «أبو عباس» شيِّع في لبنان بعد سقوطه في منطقة القصير.

أما الإعلان الرسمي عن دخول «حزب الله» علنًا في الحرب السورية إلى جانب النظام كان من خلال خطاب أمينه العام في نيسان من العام ٢٠١٣ من خلال العمليات العسكرية في منطقة القصير. وجاء في خطاب نصرالله بالحرف الواحد أنه «إذا احتاجت المعركة إلى ذهابه شخصيًّا مع كل عناصر «حزب الله» إلى سوريا لذهبوا» وهنا دقَّ المسمار الأخير في نعش «إعلان بعبدا» .

ومن ثم تدحرج تدخل «حزب الله» من القصير إلى باقي المناطق السورية، فدخوله منطقة الغوطة الشرقية والسيدة زينب كانت بحجة حماية المقامات الدينية هناك ثم ما لبث أن أصبح يقاتل إلى جانب الفصائل التابعة للحرس الثوري الإيراني على كامل الأراضي السورية واستطاع بحنكة مصطفى بدر الدين (المتهم الأول باغتيال الرئيس الحريري والذي قُتل بدوره في ١٣ أيار ٢٠١٦ في سوريا) أن يساهم في إخماد الثورة السورية ويحوّلها إلى معارك طائفية بحتة.

واشتدت المعارك في سوريا فتمكّن خلالها «حزب الله» وإيران بمساندة الطيران الروسي من القضاء على العديد من الفصائل المعارضة وإعادة احتلال بعض المناطق السورية وانتهاك حرُمات البيوت وتدميرها وتهجير سكانها في الزبداني والغوطتين الشرقية والغربية ودرعا والرقة ودير الزور وحماه وحلب وحمص وإدلب. وبالرغم من تكبّده خسائر بشرية هائلة تقدَّر بآلاف العناصر بين قتيل وجريح إلّا أنه قام بارتكاب مئات المجازر بحق الشعب السوري على مدى عقد كامل من الزمن. إذن نستطيع القول إن «حزب الله» استطاع الانتصار على الشعب السوري واقتلاعه وإبعاده عن أرضه ليكون للبنان الحصة الأكبر من موجة النزوح والهجرة السورية.

حزب الله في سوريا. المصدر: CNN

شبكات إرهابية حول العالم والدخول في حروب عديدة في المنطقة

حفل العام ٢٠١٣ بالكثير من الأحداث الخارجية المرتبطة بالحزب، أبرزها اتهام بلغاريا للحزب بتفجير إرهابي في مدينة بورغاس واكتشاف خليّة للحزب في نيجيريا تخطّط لشنّ هجمات ضد مؤسسات أجنبية، كما اتهمت الإدارة الأميركية شركتي صيرفة لبنانيتين بتبييض أموال لحساب الحزب (كتاب «شيعة لبنان من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول» - الجزء الثاني) .

أما في الداخل اللبناني وفي نفس العام فقد اغتال الحزب الناشط في تيار «الانتماء اللبناني» هاشم السلمان خلال تظاهرة أمام السفارة الإيرانية في بيروت، كما خاض الحزب معركة عسكرية مع أنصار الشيخ أحمد الأسير في بلدة عبرا وسقط العديد من الشهداء للجيش اللبناني في تلك المعركة التي ورّطه الحزب بها.

وخلال مشاركته في معارك القلمون السوري تقدّم العديد من الإرهابيين إلى قرية عرسال اللبنانية فقاموا باحتجاز عناصر من الجيش اللبناني وإعدام عدد كبير منهم.

لم يكتف الحزب بمشاركته في الحرب السورية، بل أرسل مقاتليه أيضًا إلى العراق بحجة مقاتلة تنظيم الدولة الاسلامية «داعش» وكان قائد «فيلق القدس» قاسم سليماني يشرف بنفسه على العمليات العسكرية هناك بالتعاون والتنسيق التام مع قوات التحالف الدولي بقيادة أميركية، فقاتل «حزب الله» بغطاء جوي أميركي في الأنبار والموصل وسامراء وحتى في منطقة البوكمال السورية.

ووسع «حزب الله» من عملياته في العام ٢٠١٥ فأعلن أنه أرسل مستشارين عسكريين إلى اليمن لمساندة جماعة الحوثي الإرهابية في قتالها ضد المملكة العربية السعودية وقام أمينه العام والناطقين باسم الحزب وإعلامه ونوابه في كل خطاباتهم بالتهجّم وتوجيه الشتائم إلى المملكة، والنابعة من أحقاد بحق الأشقاء العرب لا سيما دول الخليج وفي مقدمهم المملكة العربية السعودية. كما لم يتوانَ للحظة عن دعم الجماعات المعارضة للأنظمة في البحرين والكويت والسعودية مما أثَّر على علاقات لبنان التاريخية مع الدول العربية، وانعكس هذا الأمر سلبًا على الوضع الاقتصادي الداخلي الذي كان يعوِّل على دول الخليج من خلال الودائع وتوظيف الاستثمارات في كافة المجالات في الداخل اللبناني.

مصادرة شحنة «كبتاغون» في السعودية. المصدر: صدى

تعطيل البلد ثم انتخاب ميشال عون رئيسًا للجمهورية

وبالعودة إلى الداخل اللبناني فإن «حزب الله» كان يُمسك بالقرار اللبناني وينتقص من سيادته مرة تلو الأخرى ويسيطر على كامل مفاصل الدولة من أمن وقضاء ومعابر شرعية وغير شرعية ومرفأ ومطار، واستطاع من خلال وحداته الأمنية أن يشتري بعض الصحافيين والأمنيين والقضاة والسياسيين ويسيطر عليهم إما بالترهيب أو بالترغيب من خلال فائض القوة المتمثل بسلاحه وفائض المال الآتي من إيران، ناهيك عن الأموال التي يجنيها بالطرق غير الشرعية. وبقي الحال على هذا المنوال إلى أن قام بتعطيل الدولة والمؤسسات كافة بعد انتهاء ولاية الرئيس ميشال سليمان ليترك البلد بفراغ رئاسي دام عامين ويفرض من خلال سطوته انتخاب حليفه ميشال عون رئيسًا للجمهورية اللبنانية في العام ٢٠١٦.

هنا لم يعد يتحكَّم «حزب الله» بلبنان فحسب بل أصبح يحكم البلد بشكل رسمي من خلال عون الذي كان رئيسا للجمهورية بالشكل، اما في المضمون فكان عميلًا يتحكّم الحزب بكل قراراته ومواقفه.

واستطاع الحزب من خلال تحالفاته الانتخابية في العام ٢٠١٨ أن يحصد مع حلفائه أغلبية نيابية من ٧١ نائبًا ليتمكن من التحكُّم بكل مفاصل البلد، بدءًا من رئاسة الجمهورية ومجلس النواب والحكومة ويتعالى ويتغطرس على اللبنانيين. فقد اعتبر قائد «فيلق القدس» قاسم سليماني يومها أن هذا الانتصار الكبير نقل «حزب الله» من حركة مقاومة إلى «حكومة مقاومة».

الانزعاج من ثورة ١٧ تشرين ومن التواجد الشيعي المؤثِّر فيها

هنا بدأت الأزمة الاقتصادية والمعيشية تطلّ برأسها أكثر فأكثر إلى العلن. فبعد أن شكَّل سعد الحريري حكومة من ٣٠ وزيرًا بعد ثمانية أشهر من تكليفه وفرض الحزب توزير ممثّل عن المقربين له من السنة، ما لبثت أن اندلعت انتفاضة ١٧ تشرين في العام ٢٠١٩ على خلفية اجتماعية اقتصادية فشهد لبنان مظاهرات حاشدة على كافة الأراضي اللبنانية كان ثقلها في ساحتي الشهداء ورياض الصلح وكان العنصر الشيعي المعارض فاعلًا في تلك المظاهرات من ساحة الشاعر «خليل المطران» في بعلبك إلى ساحة العلَم في صور إلى ساحات صيدا والنبطية وكفرمان إلى طريق المطار.

أزعجت هذه المشهدية «حزب الله» وأمينه العام الذي كان يُعتبر رأس هذه المنظومة الفاسدة وحاميها ومانع انهيارها. وكانت اتفاقه الواضح مع باقي أعضاء المنظومة قائم على معادلة حماية الفساد مقابل حماية السلاح، وبالرغم من رضوخ سعد الحريري لمطالب الشعب وتقديم استقالة حكومته بقي نصرالله متعنتًا ومجاهرًا بدفاعه المستميت عن عهد ميشال عون، فقام «حزب الله» والمنظومة الميليشياوية التي يتزعمها ويحكم البلد من خلالها بفرض حسان دياب كرئيس حكومة لا يمثل إلّا مشغّليه وكانت تلك حكومة الانهيار الكامل الذي أسقط البلد في المجهول وأخذه إلى حيث يريد ميشال عون، أي إلى جهنم.

تفجير مرفأ بيروت واتهام «حزب الله»، اغتيال لقمان سليم

وفي خضمّ الانتفاضة المستمرة ومع الانهيار الاقتصادي والسياسي هزَّ انفجار ضخم مرفأ بيروت في الرابع من آب العام ٢٠٢٠ مخلِّفًا دمارًا هائلًا في مدينة بيروت لا سيما في أحيائها الشرقية. وقد حصد هذا الانفجار أرواح أكثر من ٢٠٠ ضحية والآلاف من الجرحى وتشريد آلاف العائلات وكانت قوة هذا الانفجار تعادل قنبلة نووية تكتيكية. ولغاية اليوم لم تكشف التحقيقات مَن الذي قام بتفجير المرفأ، غنما من المؤكد أن كميات كبيرة من نيترات الأمونيوم التي كانت مخزّنة في أحد عنابر المرفأ منذ العام ٢٠١٣، وهناك ترجيحات صرح بها أكثر من مصدر أن هذه الكميات من النيترات كانت مخزنة من قِبل «حزب الله» وكانت تُنقل على مراحل وتسلّم إلى النظام السوري ليقوم باستعمالها كبراميل متفجرة يتمّ رميهاعلى المدنيين العزّل إبّان الحرب الدائرة هناك.

وكان الصحافي والناشر الشيعي لقمان سليم قد فنَّد موضوع النترات عبر مقابلة على قناة «الحدث» موضحًا كيف خزّنت النيترات ومَن خزّنها ومَن هي الجهات المسؤولة عنه وكيف كان يتمّ نقله إلى الأراضي السورية ومشدّدًا على مسؤولية «حزب الله» عن الانفجار الحاصل في المرفأ.

رفض «حزب الله» التحقيق بموضوع المرفأ، لا بل حارب كل المحققين العدليين الذين تولّوا التحقيق فقد تمّت إزاحة المحقق فادي صوان بالتهديد المباشر من قِبل مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في الحزب وفيق صفا، عندما دخل إلى قصر عدل بيروت مهدّدًا، ثم أصدر قاضي التحقيق المعين لاحقًا طارق بيطار مذكرات توقيف طالت كلٍّ من: الوزراء علي حسن خليل وغازي زعيتر ويوسف فينيانوس، إلّا أن الحزب أوقف التحقيق للمرة الثانية، بسطوته على القضاء ورفضه مثول المتهمين امام القضاء.

وفي صبيحة الثالث من شباط ٢٠٢١ وُجِدَ لقمان سليم مقتولًا داخل سيارته مصابًا بست طلَقات على طريق فرعية في منطقة يسيطر عليها «حزب الله» قرب صيدا جنوب لبنان، وكان الاتصال مع الناشط قد انقطع قبل ليلة من العثور على جثته، وتدلّ كل المعطيات إلى تورّط «حزب الله» باغتياله لأنهم كانوا قد هددوه قبل فترة وكتبوا على جدران منزله في حارة حريك عبارة «المجد لكاتم الصوت» إلّا أنه وحتى اليوم لم تفرج القوى الأمنية والقضائية عن تحقيقاتها بهذه الجريمة، هذا إذا قامت بالتحقيق فيها.

أتت انتخابات الـ٢٠٢٢ بنتائج مخيِّبة نوعًا ما لمنظومة «حزب الله» المتحكمة بالبلد، فلم يستطع وحلفاؤه تأمين أكثرية نيابية ودخل بعض رموز الانتفاضة الشعبية إلى الندوة البرلمانية، كما خسر حليفه المسيحي الأول أكثريته ضمن طائفته المسيحية، وبالرغم من هذه النكسة إلّا أنه استطاع إعادة انتخاب نبيه بري رئيسًا للمجلس النيابي بأغلبية هزيلة، كما استطاع أن يشكِّل حكومة أمر واقع برئاسة نجيب ميقاتي الذي لم يقدِّم ولم يؤخِّر في موضوع الانهيار الاقتصادي الحاصل ولا حتى باستعادة ودائع المواطنين المحتجزة في المصارف.

قرار المحكمة الدولية والحكم على عناصر من «حزب الله»

في ١٦ حزيران ٢٠٢٢ وبحكم غيابي، حكمت الغرفة الاستئنافية في المحكمة الدولية الخاصة بلبنان على كلٍّ من: حسن مرعي وحسين عنيسي وسليم عياش بالسجن مدى الحياة لتورُّطهما باغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري، وهي أقصى عقوبة ينصُّ عليها النظام الأساسي للمحكمة وقواعدها.

حرب المساندة لغزة ٨ تشرين الأول ٢٠٢٣

بينما ينشغل المواطن اللبناني اليوم بقضاياه السياسية والمعيشية والاجتماعية والاقتصادية، وبينما بدأت عجلة الاقتصاد تتحرّك شيئًا فشيئًا من خلال إعادة بعض المواطنين العرب لا سيما الخليجيين منهم استثماراتهم إلى لبنان، أعلن أمين عام «حزب الله» في الثامن من تشرين الأول ٢٠٢٣ معركة مساندة غزة في حربها التي بدأتها مع إسرائيل قبل يوم من هذا التاريخ من خلال عبور بعض مقاتلي حماس إلى الاراضي الإسرائيلية وتمكّنت من قتل ١٢٠٠ إسرائيلي وأسْر ما يقارب المئة وثلاثين.

إذًا أعلن نصرالله حربه التي تعدّدت تسمياتها من مشاغلة إلى مساندة وانخرط شيئًا فشيئًا بحرب غزة التي لا أفق لنهايتها حتى الآن. أراد نصرالله من خلال خطاباته أن يكون السند لغزة التي لم يتبقَّ منها حجر على حجر وقد قارب عدد الضحايا الفلسطينيين الـ٤٠ ألفًا ومئات ألاف الجرحى ونحو مليوني مهجَّر في قلب القطاع، فماذا قدَّم إسناده لغزة؟

لكن السؤال الأهم ماذا قدَّم نصرالله للبنان في حرب المشاغلة تلك؟ ففي حصيلة رسمية، بلغ عدد القتلى ٥٢٠ قتيلًا والجرحى ١٢٠٠ جريح عدا المعوّقين، ناهيك عن أكثر من ٥٠٠٠ وحدة سكنية سُويت بالأرض أو دمّرت دمارًا جزئيًّا، عدا الخسائر في المحاصيل الزراعية والمنشآت التجارية والصناعية.

لقد خسر الحزب في حربه تلك أكثر من ٢٠ قائدًا ميدانيًّا، بينهم ٣ قادة وحدات ومعاون جهادي يعدُّ بمرتبة وزير دفاع «حزب الله» وهو فؤاد شكر الملقب بالسيد محسن والتي كانت الولايات المتحدة الاميركية قد رصدت مبلغ ٥ ملايين دولار لقاء الحصول على معلومات عنه.

أما بالنسبة لخسائر الدولة اللبنانية الاقتصادية فهي تفوق وللأسف الـ٦ مليارات دولار! ■

كيف ومتى تتحلّل الدولة

عندما يحكم الطوائفيون تكون النتيجة تحلّلُ الدولة كالذي نشاهده في لبنان. ليس سرًّا أن لبنان الدولة تحلَّلت بكل إداراتها ومؤسساتها، ولم يعد وطنًا واحدًا موحّدًا بنظر ساكنيه، ولا أقول مواطنيه، لأن المواطنة هي الغائب الأكبر في زمن الطوائفيين الذين يعملون في سبيل مصالحهم الخاصة وليس لمصلحة الوطن، لأن الدولة ليست في وجدانهم، ولا يعملون بالتالي لمصلحة أبناء طوائفهم. إنهم يستغلّون الطائفة لتحقيق مآربهم على الرغم من مضارّ الطائفية حيث تتنافى مع المواطنية. من هنا لا يمكنني إطلاق تعبير أو تسمية «المواطنون اللبنانيون» بقدر ما يمكنني استعمال تسمية سكان لبنان «إلا لمن رحِم ربي»، من الذين ينتمون قلبًا وقالبًا إلى لبنان الوطن.

عندما تكون لكل طائفة مرجعيتها السياسية في دولة ما، تأخذ منها أمر عمليات وتتكلّم بلسانها، عندها يمكننا ان نسمّيها جالية. سكان لبنان عبارة عن مجموعة جاليات ضمن جغرافية واحدة، وذلك لعدم الانخراط والعمل بفكرة الدولة، وهذا الأمر نراه متأصِّلًا في لبنان. فلكل طائفة أو مذهب سرديَّته التاريخية التي تجافي الحقيقة، كما نرى في لبنان أيضًا صراع سرديّات، يتمسّك بها طوائفيون يتحكّمون بطوائفهم من خلال علاقاتهم الزبائنيّة بأبناء طوائفهم، لا من خلال الكفاءات عند أبناء تلك الطائفة. فنجد عند كل طائفة، لا بل عند كل مذهب، كتاب تاريخ خاصٌّ به، ولكل مذهب مدارسه وجامعته ومستشفياته ووسائل إعلامه، وحتى أعياده ووسائل مواصلاته.

وقسِّمت الوظائف العامة على كل المستويات على مقاسات حصصهم. فأصبح لكل زعيم طوائفي مزرعته يعيِّن عليها أحد زبائنيته، حتى الأجهزة العسكرية والأمنية والقضاء والتعليم تقاسموها وكأنها حكرٌ على هذه الطائفة أو تلك لا بل ملكٌ لزعيمها الطوائفي. فحوّلوا الناس إلى قطعانٍ تأتمر بأوامرهم، دون الأخذ بعين الاعتبار للعقْد الاجتماعي الذي يعيش بمقتضاه المواطن. أما الذين هم خارج هذه المنظومة فهم عُرضَة للاتهام بشتى التُّهم والصفات، والأمثلة على ذلك كثيرة، لا لشيء إلّا لأنهم أناس ذوو فكر حرّ وغير منتمين إلى هذا الزعيم أو ذاك ومتصالحين مع أنفسهم مستقلّين بمواقفهم، وبالتالي لا يمكن للطوائفيين أن يفرضوا عليهم خياراتهم المدمِّرة للدولة والعيش الواحد والولاء للوطن والذود عنه.

لم يعد في لبنان ملكية عامة، لا الساحات ولا الطرقات ولا الكهرباء ولا المياه، ولا وسائل الاتصالات (الانترنت)، كلها استبيحت من قِبل الطوائفيين وزبائنيتهم فاستبدلوا شركة كهرباء لبنان بمافيات المولّدات الخاصة ومياه وزارة الطاقة بالآبار الارتوازية الخاصة وغير المنظّمة والتي يحتكرها أناس محميين من قوى الأمر الواقع، ويَفرضون على المواطنين الأسعار التي ينوؤون تحتها، إذ أصبح لكل «قبضاي» زاروب مولّدًا كهربائيًّا وبئر ماء واشتراك إنترنت وستلايت. إنها مأساة حقيقية لبلد يلفظ أنفاسه الأخيرة.

هكذا تحلَّلت مؤسّسات الدولة. هذا ناهيك عن الفراغ في سدَّة الرئاسة الأولى مراضاة لأحزاب تأتمر بالخارج، وهذا النمط ينسحب بالتأكيد على الكثير من المواقع الوظيفية في الإدارات والوزارات. من هنا تبرز أهمية بلورة تيار وطني عابر للطوائف يؤمِن بالدولة السيدة المستقلة التي تبسُط سلطتها على كامل مساحة الوطن وتحفظ الأمن وتحمي الحدود بواسطة الجيش وحده. دولة مدنية علمانية تعمل بقوة القانون لا بقوة العصبيات المذهبية والطائفية أو المناطقية.

لقد أمعنت المنظومة الحاكمة المتحكّمة بتدمير الاقتصاد وبإعدام الحياة السياسية والاجتماعية وبتمزيق العقد الاجتماعي اللبناني، فأصبح الفراغ بسدَّة الرئاسة سيِّد الموقف بناءً على أمزجة الطوائفيين.

وأخيرًا وليس آخرًا، إنّ ما حصل في الامتحانات الرسمية الأخيرة لمخزي للغاية من تسريب أسئلة الامتحانات إلى تسهيل الغشِّ بالنقل من خلال الهواتف الذكية ومشاركة بعض الأساتذة بمساعدة الطلاب على النقل من زملائهم، وغيرها من الأساليب. لقد عاثوا فسادًا بكل شيء في البلد حتى غدا بلد «الميمات» الخمس، أي بلد المستشفى والمصرف والمدرسة والمصيف والمطبعة وبلد حرية الرأي والمعتقَد، دولة فاشلة على كل الصُّعد. كل هذا حصل بفعل سياسة المنظومة الحاكمة المتحكّمة والتي هي نموذج عن الدول التي يأتمرون بسياساتها. لذلك أقول للمنظومة إن الصَّدى لا يمكنه أن يُصبح صوتًا.

رميحي شبيب

نازحو حرب المشاغلة

فارق طبقي وحزبي يكشف واقع الحال

حسن سنديان

منذ اندلاع الحرب في السابع من تشرين الأول، ومع دخول «حزب الله» المعركة في اليوم التالي، ساد التوتر في الشارع اللبناني، وشُلت الحركة الاقتصادية، وبدأت أولى موجات النزوح من الجنوب، في ظلّ لعبة توتُّر سيطرت على الشارع اللبناني وسط تساؤلات حول مدى اتساع رقعة الحرب دون أي توضيح من «حزب الله» بشأن المرحلة المقبلة. ظلَّ الوضع كذلك حتى الظهور الأول للأمين العام لـ«حزب الله»، حسن نصرالله، في الثالث من تشرين الثاني، حيث أعلن لجميع اللبنانيين دخول الحزب في هذه المعركة قائلاً: «لقد دخلنا المعركة منذ الثامن من تشرين الأول الماضي، وما يجري على الجبهة اللبنانية غير مسبوق في تاريخ الكيان الإسرائيلي».

أهالي الجنوب وتجارب النزوح..

البداية من ٢٠٠٦

خلال الحرب الحالية، أي مرحلة «طوفان الأقصى» وما أصبح يُعرف بجبهة «إسناد» غزة، بعد أن كان يندرج تحت عنوان «وحدة الساحات»، تعرَّض أهالي الجنوب لموجتَي نزوح متتاليتين، تخلّلتهما استغلال سماسرة وحالات ضرب وتعدٍّ وطرد من المنازل، بالتزامن مع رغبة «حزب الله» في عدم نزوح الأهالي إلى القسم الغربي من العاصمة بيروت في هذه الحرب. هذا الأمر يختلف عما حدث في حرب تموز ٢٠٠٦، التي تسببت بنزوح نحو مليون لبناني من بلداتهم، حيث توجّه النازحون إلى المنطقة الغربية من بيروت والجبل. وكان استقبالهم مرحَّبًا به سواء كانوا عوائل لقياديين من «حزب الله» أو غيرهم.

وخلال تلك الفترة، فرغت المناطق الحدودية وكذلك الضاحية الجنوبية لبيروت من سكانها الذين توجّهوا إلى مناطق بقيت بمنأى عن القصف الإسرائيلي في بيروت والجبل. في تلك الحرب قبل ١٨ عامًا، احتضن أهل لبنان، بل وأهل سوريا أيضًا، «النازحين» من اللبنانيين من مناطق الجنوب، أو ما يُعرف ببيئة «حزب الله» الاجتماعية. كما استقبلهم أهل صيدا، وأيضًا المسيحيون في الشمال والدروز في الجبال.

النزوح الأول... استغلال وسمسارة

وخلال الفترة الزمنية بين حرب تموز ٢٠٠٦ و«طوفان الأقصى» ٢٠٢٣، تغيّر الوضع. فبعد أن أعلن «حزب الله» نصره في تموز ٢٠٠٦، هيمَن بعد عامين على بيروت وهاجم بعض البلدات في الجبل، وشنَّ حربًا أهلية صغيرة في ٧ أيار ٢٠٠٨، الذي أعلنه لاحقًا أمينه العام يومًا «مجيدًا»، في حين اعتبره سكان بيروت الغربية وباقي المناطق «ليلة الرعب» حيث سيطر،عسكريًّا، على أحياء العاصمة. تلا هذه الحادثة تدخُّل «حزب الله» في الحرب السورية عام ٢٠١٢، مما أدّى إلى قتل وتهجير السوريين للدفاع عن مصالحه مع الرئيس السوري بشار الأسد، الأمر الذي أفقده تلك الحاضنة الشعبية وزاد من الكراهية تجاهه وتجاه بيئته، وزاد الانقسام في الشارع اللبناني. هذا الانقسام سينعكس بالضرورة على الحرب الحالية التي يخوضها منذ عام في السياق الذي حدّدته عملية «طوفان الأقصى»؟

في بداية موجة النزوح الأولى لأهالي الجنوب، انتشر شعار على مواقع التواصل الاجتماعي في الداخل اللبناني تضامنًا مع نازحي الجنوب: «إذا ما ساعتُن البيوت بتساعُن قلوبنا»، حيث اتجه النازحون نحو المناطق الجبلية من لبنان والمنطقة الغربية من بيروت، وذلك بسبب عدم وجود خطة طوارئ من قِبَل الحكومة اللبنانية، سوى الاعتماد على ما جرى في حرب تموز عام ٢٠٠٦.

وبلغ عدد النازحين آنذاك أكثر من ١٩ ألفًا حتى نهاية شهر تشرين الأول ٢٠٢٣، وفقاً لمنظمة الهجرة العالمية. لكن سرعان ما تحوّل هذا الشعار إلى سمسرة للعقارات، حيث رُفعت أسعار الإيجارات بنسب متفاوتة تتراوح بين ٢٠٪ و٣٠٪ و٥٠٪، باعتبار أن الإيجار شهري وليس لفترة طويلة. وارتفع الطلب على الشقق، حيث أصبحت الشقة التي كان إيجارها ٤٠٠ دولار تُؤجَّر بـ٨٠٠ دولار، مع طلب إيجار ثلاثة أشهر مسبقاً .

وقد تحمّلت نقابة المالكين في لبنان مسؤولية هذه اللعبة الاستغلالية إعلاميًّا، إذ اعتبرت في بيان لها أن «ما يتمّ تداوله على وسائل التواصل الاجتماعي حول استغلال المالكين لأزمة النزوح هو حملة لتشويه سمعتهم، وهدفها تشويه صورة المؤجّرين وتأليب الرأي العام ضدهم، لحرف الأنظار عن معضلة الإيجارات القديمة التي تستمر الدولة في فرضها علينا».

وانتهت موجة النزوح الأولى مع تحديد رقعة الاشتباك ووضع معادلة اسمية قوامها: «عسكري مقابل عسكري»، و«مدني مقابل مدني »، مع ترك مجال لتوسيع رقعة الاستهدافات بين إسرائيل و«حزب الله». استمرت وتيرة التصعيد بين الطرفين بمعدلات متوسطة.

النزوح الثاني... رفض واستغلال

مع بداية عام ٢٠٢٤، وبعد مرور حوالى ثلاثة أشهر على مشاركة «حزب الله» في «طوفان الأقصى» وربطه قرارات التسوية وإيقاف

النّزوح من الجنوب

الحرب بتوقّف الحرب على غزة، وراحت رقعة الحرب تتوسّع تدريجيًّا. فقد اغتالت إسرائيل القيادي في حركة حماس، صالح العاروري، المقيم في الضاحية الجنوبية، في الثاني من كانون الثاني، ما أدّى إلى تصعيد حدّة المواجهات لتشمل الاستهدافات الإسرائيلية بعض مناطق البقاع. كما أسفرت هذه التطورات عن مقتل مدنيين من سكان الجولان السوري المحتل، حيث اتهمت إسرائيل «حزب الله» بتنفيذ هذا الهجوم. وفي ٣٠ تموز الفائت، اغتالت إسرائيل القيادي البارز في «حزب الله»، فؤاد شكر، ثم، في أقل من ٢٤ ساعة، اغتالت إسماعيل هنية في إيران في ٣١ من الشهر ذاته دون أن تُعلن عن ذلك.

التعدّي على النازحين في بلدة طورا. المصدر: موقع النهار

مع هذه الأحداث، اتسعت الاستهدافات الإسرائيلية ضد المدنيين في جنوب لبنان والبقاع، مما أعاد مشهد التوتُّر والخوف إلى الشارع اللبناني. وفي ظلِّ إعلان إيران و«حزب الله» نيَّتهما الردّ على إسرائيل، وتهديد الأخيرة بشنِّ حربٍ توسعية على لبنان، بدأت موجة النزوح الثانية لأهالي الجنوب وأهالي الضاحية الجنوبية لبيروت نحو المناطق ذاتها، لكن بشعار مختلف عن الأول من حيث الشكل والنوع.

كانت موجة النزوح الثانية ذات وتيرة أعلى من الأولى، حيث بلغ عدد النازحين من الجنوب والضاحية الجنوبية لبيروت، حتى ليلة ٢٣ آب ٢٠٢٤ قرابة ١١٢ ألف نازح، بزيادة وصلت إلى ١٠ آلاف نازح في الأسبوعين الأخيرين، وفقًا لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في لبنان. وعاد سماسرة الإيجارات لاستغلال هذه الأوضاع، تزامنًا مع ارتفاع حدة خطاب الكراهية على وسائل التواصل الاجتماعي تجاه نازحي الجنوب والضاحية الجنوبية في عدة مناطق لبنانية، رغم دعوة النائب وليد جنبلاط وطلال أرسلان أهالي الجبل لاستضافة النازحين وفتح بيوتهم ومدارسهم لهم، وقد حصل هذا الأمر ولكن بنسبٍ متفاوتة. وكانت الدعوة لعدم استقبال نازحي الجنوب والضاحية الجنوبية تقوم على مخاوف من استهداف إسرائيل للمناطق التي قد تنزح إليها عوائل قيادي «حزب الله» ومقاتليه، بالإضافة إلى استذكار ممارسات «حزب الله» السابقة تجاه المناطق التي يُفترض أن تكون وجهة للنزوح الجديد.

يمكن القول إن خطاب الكراهية ورفض استقبال نازحي الجنوب كان نتيجة لتداعيات ما بعد أحداث حرب تموز ٢٠٠٦ وما تلاها من انقسامات في لبنان ساهم «حزب الله» مساهمة أساسية في إذكائها... وفي هذا السياق، ذكرت جريدة «الأنباء» الكويتية مؤخَّرًا عن مصادر مطلعة أن «قيادات «حزب الله» تُفضّل عدم نزوح أهالي الضاحية الجنوبية لبيروت إلى القسم الغربي من العاصمة، كما حصل في حرب تموز ٢٠٠٦، بل ترى ضرورة عدم حصر هذه المجموعات الكبيرة من سكان الضاحية في بقعة جغرافية واحدة، وتوزيعهم في مناطق بعيدة يتحدرون منها أساسًا».

تفاوت طبقي؟

وفي ظلِّ هذا النزوح الكبير والمتفاقم خلال المرحلتين السابقتين، كانت المناطق الآمنة الساحلية أو الجبلية المقصد الرئيسي للنازحين، وخاصة المناطق المسيحية والدرزية. وقد جعل هذا الأمر من مناطق الجبل، المحسوبة على الحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الديمقراطي، وجهة للنازحين من الجنوب، خاصة أولئك الذين يتمتعون بقدُرات مالية جيدة. جاء ذلك خصوصًا بعد مبادرة وليد جنبلاط، الذي أعلن عن بدء اجتماعات لتحضير مناطق الجبل والشوف لاستقبال النازحين في حال وقوع عدوان على لبنان.

وبحسب تقرير نشرته مجلة «أشغال عامة» في كانون الأول ٢٠٢٣، لجأ العدد الأكبر من العائلات (٤٦٪) إلى المناطق الجنوبية التي ما زالت آمنة حتى الآن، مثل قضاء صور وقضاء النبطية، بسبب قرب هذه المناطق من قرى الشريط الحدودي ووجود بعض المراكز المخصصة للإيواء التي استقبلت ١٦,٩٩٠ نازحًا. يليها قضاء النبطية (٨,١٩١ نازحًا)، ثم بيروت (٦,١١٣ نازحًا)، وصيدا (٥,٩٠٣ نازحين)، ثمّ عاليه (٣,١٤٦ نازحًا)، وبعبدا (٢,٥٥٥ نازحًا)، وصولًا إلى بعلبك (٢,٤٣٣ نازحًا)، والشوف (١,٨٦٣ نازحًا)، وحاصبيا (١,٦٠٣ نازحين)، إلخ.

حاليًا، وبحسب الأرقام المتوافرة، يعيش حوالى ٧١٪ من النازحين مع عائلات مضيفة، في حين أن ٢٣٪ منهم استأجروا مساكن في المناطق التي نزحوا إليها، تتوزّع على النحو التالي: ٣٧٪ في البقاع، ٤٩٪ في جبل لبنان، ٢٥٪ في الشمال، ٣٢٪ في بيروت، ١٦٪ في الجنوب، إلخ. كما انتقل ٣٪ منهم إلى مساكنهم الثانوية. في المقابل، تعيش نسبة قليلة، بلغت حوالى ٢٪، في المراكز المخصصة للإيواء، بالإضافة إلى ١٪ يسكنون في مبانٍ غير مكتملة، ما أدى إلى ظهور تفاوت طبقي بين النازحين.

ويعلّق المستشار العقاري أحمد الخطيب على بيانات مجلة «مصدر عام» بأن النازحين انقسموا إلى ثلاث فئات:

الميسورون/ات: بعضهم يرغب في السكن بمنازل فخمة أو الإقامة في فيلات؛ لذلك يقصدون مناطق مثل بيت مري، بعبدات، برمانا، بحمدون، حمانا، فالوغا، بعلشميه، والعبادية.

النازحون/ات من الطبقة الوسطى: يبحثون عن استئجار شقق سكنية

متوسطة أو صغيرة الحجم للإقامة لمدة شهر قابلة للتجديد لفترة تتراوح بين ٣ إلى ٦ أشهر، ويتوجهون إلى مناطق مثل خلدة، الشويفات، عرمون، والدامور.

النازحون/ات الفقراء: ينتظرون الإيواء في المراكز المخصصة أو لدى عائلات مضيفة.

وقد ارتفعت بدلات الإيجار بشكل كبير، حيث تراوحت بين ٤٠٠ دولار و٢٥٠٠ دولار في مختلف المناطق. هذا الارتفاع جعل أغلب نازحي الجنوب تحت رحمة استغلال المالكين وأصحاب المكاتب العقارية والسماسرة، الذين يدّعون أن السبب وراء ذلك هو أن هذه الإيجارات مؤقتة أو موسمية.

يقول حسن، الذي اكتفى بذكر اسمه الأول وهو من سكان الجنوب ونزح إلى الجبل واستطاع الحصول على منزل بقيمة ٣٠٠ دولار شهريًا، للفان رقم ٤: «الاستغلال لم يقتصر على السماسرة فقط في بيروت وباقي المناطق اللبنانية وأصحاب العقارات، بل أيضاً وصل الاستغلال إلى القرى الجنوبية الآمنة».

ورفَض حسن الحديث بشكل مُستفيض عما يجري في الجنوب من سمسرة واستغلال، وأضاف: «عندما تنتهي الحرب، سيكون هناك حديث آخر وأمور يمكننا التحدّث عنها بخصوص الفوارق الطبقية في الإيجار في الجنوب. لكن ما أستطيع قوله فقط هو أن إيجارات المنازل ارتفعت أضعافًا.

لقد خصّص «حزب الله» لكل عائلة جنوبية نازحة ٣٠٠ دولار بدل إيجار في القرى الآمنة في الجنوب، ولكن عندما تتّصل بالرقم المعروض للاتفاق على الإيجار، فأغلب الاتصالات يرد عليها نساء لتجنُّب معرفة أصحاب العقار ولأي عائلة ينتمون. وخلال التواصل معهن، يرفعن الأسعار أضعافًا، ومَن لم يكن لديه قدرة مادية كافية تعرَّض للاستغلال أو بات تحت وطأة الحرب باحثًا عن مأوى، ومهدَّدًا بالموت».

وبالعودة إلى الفئتين المتوسطة والفقيرة من نازحي قرى الجنوب، ضجّت مواقع التواصل الاجتماعي بفيديو يُظهر تعرُّض النازح حسن سرور من عيتا الشعب للضرب من قِبَل عناصر حزبية تابعة لـ«حزب الله» في بلدة طورا في قضاء صور، وذلك بعد خلاف مع مستأجر ومسؤول في «حزب الله» بشأن إخراجه من منزله. هذا الحادث دفع بالنازحين إلى التجمُّع والدفاع عن سرور، ما أدّى إلى مواجهة تدخَّلت خلالها قيادة «حزب الله» لتهدئة الوضع، مع وعد بإقالة المسؤول الحزبي المعني بالإشكال.

وسرعان ما تدارك «حزب الله» الأمر، حيث خرج رئيس بلدية طورا بفيديو على منصة «أكس»، برر فيه ما حدث في البلدة، قائلًا: «إن البلدية استقبلت منذ بداية الحرب ١٦٠ عائلة نازحة من الجنوب، بينها ١٠٠ عائلة من عيتا الشعب فقط، وهذه العوائل لا تدفع الإيجار، وبعضها يدفع عنه «حزب الله»».

وأضاف: «إن المستأجِر كان يريد تسليم المنزل ولكنه رفض إعطاء المفتاح لصاحب البيت. حاولت العناصر الحزبية التواصل معه لحلّ المشكلة، لكنه رفض وذهب إلى منزله، وكان الخطأ أن العناصر الحزبية توجّهت إلى منزل سرور لأخذ المفتاح، ما أدّى إلى حصول تصادم».

عودوا إلى منازلكم... انتهاء حالة التوتر

بعد فترة الانتظار والهجرة من مساكنهم، وحالة التوتر والخوف والشلل الاقتصادي التي عاشها اللبنانيون مترقِّبين ردّ «حزب الله» على اغتيال فؤاد شكر، استفاق اللبنانيون في الخامس والعشرين من آب الفائت، في صباح «أربعينية الإمام الحسين»، على بيان من «حزب الله» يُعلن فيه تنفيذ الردّ المنتظَر على اغتيال فؤاد شكر عند الساعة الخامسة والثلث من صباح ذلك اليوم، من خلال هجوم صاروخي وبالمسيّرات على هدف عسكري إسرائيلي نوعي. وأشار البيان إلى أن هذه العمليات العسكرية ستأخذ بعض الوقت للانتهاء منها، وبعد ذلك سيصدر بيان تفصيلي حول مجرياتها وأهدافها. لكن في الوقت نفسه، أعلن الجيش الإسرائيلي فجر الأحد عن «هجوم استباقي» ضد «حزب الله»، مؤكِّداً تنفيذ أكثر من ٤٠ غارة على مناطق في جنوب لبنان، معلنًا بذلك انتهاء ردِّه العسكري على ما سُمِّي هجوم «أربعينية الإمام الحسين».

في ذات اليوم، ألقى حسن نصرالله خطاباً بمناسبة ما أُطلق عليه عملية «يوم الأربعين»، داعياً النازحين، خصوصًا سكان الضاحية الجنوبية لبيروت للعودة إلى منازلهم، ومعلنًا أن الردّ على اغتيال السيد محسن قد انتهى، كما شكّك في نتائج ذلك الردّ الذي قام به «حزب الله» وعما إذا كان قد أحدث ما أُعلن عنه في بيان الحزب صباحًا. وقد اعتبر البعض أن هذه العملية لم تكن إلّا نوعًا من الحرب النفسية ومحاولة إعلامية لم تفضِ إلّا لإثارة حالة من الهلع والترقُّب عند جمهور الحزب المنتظر ردّه على مقتل القائد العسكري الأعلى رتبة فيه. ■

بلدة الطيبة

ساحة الطيبة، المصدر: موقع بلدية الطيبة على فايسبوك

تقع بلدة الطيبة الجنوبية على مسافة ١٨ كلم من مرجعيون جنوبًا غربيًّا، وإلى الغرب من بلدة كفركلا. بلغ عدد سكانها سنة ١٩٢٣، ٥٠٠ نسمة. أما قاموس لبنان المأخوذ من إحصاء ١٩٢٤ فيذكر أنها تابعة لمركز محافظة مرجعيون، وفيها ٩٢٨ رجلًا وامرأة وطفلًا يتبعون المذهب الشيعي. وبلغ عدد سكانها المسلمين الشيعة سنة ١٩٣٣، ٩٢٠ نسمةً.

كانت القرية مقرًّا لآل الأسعد وكانت من الأملاك التي أقطعتهم إياها الدولة عوضًا عن أملاكهم التي صادرها الجزَّار أحمد باشا. وكانت تتبع صيدا في العهد العثماني منذ العام ١٨٣٠ وحتى العام ١٩٢٠ حيث أُلحقت بمرجعيون.

قدّر يوسف العنداري في «دليل القرى والمدن اللبنانية» عدد سكانها سنة ١٩٧١ بـ٦٥٠٠ نسمة، و قدّر عفيف مرهج عددهم في موسوعة «اعرف لبنان» في العام نفسه بـ٨٠٠٠ نسمة، وقدّر علي فاعور عددهم سنة ١٩٨١ في بحثه «الإحصاءات السكانية وعوائق التنمية في جنوب لبنان» بـ٥٩٩٠ نسمة، ويقدر «معجم قرى جبل عامل» عددهم في عام ١٩٨٥ بحوالى ٧٠٠٠ نسمة. ويقول أن قسمًا كبيرًا من سكانها مهجَّر.

أما في بداية الألفية الثانية فقد بلغ عدد أهاليها المسجّلين قرابة ١٤٠٠٠ نسمة من أصلهم حوالى ٥٥٠٠ ناخب كما تورد «موسوعة قرى ومدن لبنان» لطوني مفرّج.

ويبلغ عدد أبنائها المسجلين اليوم ١٦ ألف نسمة، بحسب ما تذكر مجلة «جنوبية»، يتوزّعون بين البلدة، التي تزدحم في فصل الصيف، وبلاد الاغتراب ومناطق بيروت.

عائلاتها من الشيعة: أبو طعّام. الأسعد. أشمر أو قشمر. جهجاه. حبيش. حرب. حزوري. حمّود. حيدر. خزعل. ذياب. رسلان. رمال. رمضان. ريحاني. شرف الدّين. شومر. صالح. صولي. طالب. عبّاس. عربيد. عواضة. غيث. فتوني. فيّاض. قازان. قعيق. قوصان. كاظم. مبارك. مرعي. مرمر. مستراح. معّاز. منصور. نجم. نصر الله. نعم. يحيى وآل نحلة وهم الأكثر عددًا..

وجود البلدة على مقربة من الحدود الجنوبية جعل البلدة عرضة دائمة للاستهدافات ونقطة ساخنة. ففي عام ٢٠٠٦ تعرّضت البلدة لاستهداف مكثّف، فأغارت الطائرات الإسرائيلية على أحيائها، ودمرت حوالى ١٥٠ منزلًا تدميرًا كاملًا، و٣٥٠ منزلًا تدميرًا جزئيًّا كما تمّ تدمير ثانوية البلدة ومدرستيها الرسمية والخاصة.

أما في هذه الحرب التي تدور رحاها اليوم بين إسرائيل وحزب الله، فقد تعرضت الطيبة لاستهدافات إسرائيلية، نعرض شريطًا زمنيًّا بأهمّ محطاتها:

١١ كانون الأول: ذكرت الوكالة الوطنية للإعلام أن مختار بلدة الطيبة في جنوب لبنان قُتل خلال استهداف الجيش الإسرائيلي منطقة بيدر الفقعاني في البلدة.

٦ كانون الثاني: قصف إسرائيلي على جبل ساري الواقع بين الطيبة ودير ميماس.

٢٢ كانون الثاني: قصف مدفعي إسرائيلي يطال الطيبة، كما أغارت طائرة حربيّة على البلدة، ما أدّى إلى تضرّر مبنى الثانويّة فيها.

٢٩ كانون الثاني: الطيران الحربي الإسرائيلي أغار على بلدتيّ الطيبة وحولا، وسقطت ٣ قذائف مدفعيّة على أطراف راشيا الفخار.

٣ شباط: قصف إسرائيلي عنيف طال وسط بلدة الطيبة، وجانب من القصف طال أحد المباني فيها.

١٢ شباط: غارتان إسرائيليان استهدفتا تلة العويضة جهة الطيبة.

١٤ شباط: غارة إسرائيلية استهدفت أطراف بلدتي الطيبة ودير سريان - جنوب لبنان.

٥ آذار: الجيش الإسرائيلي يعلن أن طائراته أغارت على موقع في منطقة الطيبة جنوبي لبنان، أُطلقت منه قذائف باتجاه مستوطنة كريات شمونة.

١١ آذار: الجيش الإسرائيلي يعلن أن مقاتلاته قصفت موقعًا عسكريًّا لحزب الله في الجبين وهاجمت موقعًا عسكريًّا في الطيبة خلال الليل.

٢٧ آذار: قصف مدفعي إسرائيلي بين بلدتَي الطيبة وعديسة.

٣٠ آذار: الطيران الحربي الإسرائيلي شنّ ٣ غارات جوية بالصواريخ استهدفت جنوب ووسط وشرق بلدة الطيبة في جنوب لبنان. ثم استهدافها لاحقًا بـ٦ صواريخ أرض ـ جو.

٦ نيسان: غارة إسرائيلية تستهدف بلدة الطيبة - طريق دير سريان في جنوب لبنان.

١٢ نيسان: غارات اسرائيلية على بلدة عيتا الشعب وبين بلدتَي الطيبة ودير سريان.

٥ أيار: غارة إسرائيلية بين الطيبة ودير سريان.

١٠ أيار: الجيش الإسرائيلي شنّ سلسلة غارات استهدفت عددًا من البلدات في جنوب لبنان. فبالاضافة إلى الطيبة، استهدف كفركلا، الخيام، ميس الجبل، عيتا الشعب ودير سريان.

٢٥ أيار: مدفعيّة الجيش الإسرائيلي استهدفت أطراف بلدة ربّ ثلاثين لجهة الطيبة، ما أدّى إلى اندلاع حريق في المكان.

٢٧ أيار: قصف مدفعي وفوسفوري استهدف منطقة الطيبة وربّ ثلاثين.

٢ حزيران: الجيش الإسرائيلي استهدف تلة العويضة لجهة الطيبة بواسطة قذائف المدفعية.

٨ حزيران: الجيش الإسرائيلي قصف أحد المنازل في بلدة الطيبة بـ٣ قذائف.

١٤ حزيران: سقوط قذيفة مدفعية إسرائيلية وسط ساحة بلدة الطيبة.

١٩ حزيران: الجيش الإسرائيلي استهدف أطراف بلدتَي الطيبة وعيتا الشعب.

٢١ حزيران: الجيش الإسرائيلي أعلن أن مقاتلاته قصفت الليلة الماضية بُنى تحتية لحزب الله في الطيبة ودير سريان.

٢٤ حزيران: الطيران الاسرائيلي المسيَّر أغار مستهدفًا بلدة الطيبة من جهة بلدة العديسة وقصف مستعملًا القذائف الفوسفورية على اطراف القرية. وفي اليوم ذاته تمّ الإبلاغ عن إصابة أحد العناصر بشظيّة في صدره خلال قصف مدفعي استهدف متطوّعين الدفاع المدني في بلدة الطيبة.

٢٥ حزيران: طائرة مسيّرة إسرائيلية مفخّخة، أُطلقت من الداخل الإسرائيلي، استهدفت ساحة بلدة الطيبة، وإطلاق قنابل لخمس مرات من مسيّرات إسرائيلية.

٣٠ حزيران: الجيش الإسرائيلي يعلن أن سلاح الجو ضرب البنية التحتية والهيكل العسكري لحزب الله في منطقتي الطيبة وربّ ثلاثين.

٢ تموز: «درون» إسرائيلية ألقت قنابل في ساحة بلدة الطيبة من دون تسجيل إصابات، واستهدفت محوّل الكهرباء في مشروع الطيبة.

٣ تموز: الجيش الإسرائيلي استهدف أطراف بلدات دير سريان، الطيبة، ربّ ثلاثين والخيام بواسطة سلاح المدفعية.

٥ تموز: قصف مدفعي يطال بلدة الطيبة

١٠ تموز: الجيش الإسرائيلي ذكر أن طائراته المقاتلة هاجمت البُنى التحتية العسكرية لحزب الله في منطقة الطيبة جنوب لبنان، وقصف بلدة الطيبة بصواريخ عديدة من دون أن يُسفر ذلك عن وقوع إصابات.

١١ تموز: قصف مبنى في الطيبة واستهداف حارة المدرسة في الطيبة، بالإضافة إلى شنّ ٤ غارات على بلدة الطيبة في القطاع الأوسط.

١٧ تموز: الجيش الإسرائيلي يستهدف الطيبة بالإضافة إلى بلدات أخرى.

٢٠ تموز: الطيران الحربي الإسرائيلي استهدف أطراف بلدتَي الطيبة ودير سريان.

٣٠ تموز: بلدة الطيبة وأطراف بلدات العديسة ومركبا ويارون تتعرّض لقصف مدفعي إسرائيلي.

٤ آب: حريق في محطة مشروع الطيبة بسبب غارتين إسرائيليتين على بلدة الطيبة.

١١ آب: الجيش الإسرائيلي يُعلن قصف خليّة مسلّحين من حزب الله في منطقة الطيبة جنوب لبنان ووزارة الصحة اللبنانية تعلن عن مقتل شخصين.

١٧ آب: قصف فوسفوري عند أطراف بلدتَي الطيبة وربّ ثلاثين.

١٩ آب: غارتين على بلدة الطيبة وإصابة ٥ أشخاص.

٢١ آب: قصف مدفعي إسرائيلي يستهدف بلدة الطيبة.

٣١ آب: قصف مدفعي إسرائيلي يستهدف الطيبة ودير سريان عيتا الشعب والناقورة.

١ أيلول: غارة إسرائيلية على بلدة الطيبة.

أعلن حزب الله عن مقتل عدد من عناصره المتحدّرين من بلدة الطيبة في جنوب لبنان، وتاريخ الإعلان عن مقتلهم كان على النحو التالي:

٢٢ كانون الثاني: الإعلان عن مقتل علي سعيد يحيى.

٤ شباط: الإعلان عن مقتل عباس علي مبارك.

١٤ شباط: الإعلان عن مقتل كل من إبراهيم حسين المستراح وحسن علي نجم.

٢٤ آذار: الإعلان عن مقتل حسين علي أرسلان.

٢٢ أيار: الإعلان عن مقتل محمد أبو طعام. ■

من كتاب التربية والتعليم،

في نشأة نظام تربوي رديف ومآلاته: مؤسسات «حزب الله» التربوية نموذجًا

في خبرٍ وردَ في صحيفة «العهد» الناطقة باسم «حزب الله» عام ١٩٨٤ أنَّه، منذ بناء أوّل مدرسة تابعة لـ«مدارس المصطفى »، أُلحِقَ أساتِذَتُها بدورات تدريب لكَسْبِ الخِبرات والمَهارات التعليميَّة، تحت إشراف جمعيَّة التعليم الدِّيني الإسلامي التي تأسَّست عام ١٩٧٤، بحسب الصحيفة، وحصلت على عِلْم وخَبَر من الدولة اللبنانيَّة بتاريخ ٢ تموز ١٩٨١ تحت الرقم ٦٨ /أد. وقال القيِّمون على المدرسة: «نفخَرُ بأنَّنا استطَعْنا بجُهْدِنا المتواضِع أنْ نعدّل كثيرًا في سلوكِ أبنائنا من سلوكٍ حَسَنٍ إلى سلوكٍ واعٍ واستطَعْنا أنْ نُبعِدَهُم عن العَيْشِ في ملذّاتِهم» كما تبرَّعت الجمهوريَّة الإسلاميَّة في إيران لِبناء مدرسةِ المرتضى في بلدة بُوداي بقضاء بعلبك عام ١٩٨٥ . واعتَبَر الشيخ محمد يزبك خلال رعايته انتهاء عامِها الدِّراسي الأول أنَّها مِن ثَمَرات انتصار الثورة الإسلامية في طهران، مُعاهِدًا «أنْ تكونَ المدرسةُ مَوْقِعًا مِن مواقِعِ الجِهاد المتقدمة». وخلال فترة الثمانينيّات تصدَّرت المشهَد المساعدات التي منَحَتْها الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة لـ«تلامذة المستَضْعَفين في لبنان » ووُزِّعت عَبر الصندوق الاجتماعي لمساعدةِ الطالِب التابِع لـ«التعبئة التربويَّة» لـ«حزب الله». ففي مؤتمرٍ صحافي في ٢٣ كانون الأول ١٩٨٧ لمناسبة توزيع تلك المساعدات، قال الأمين العام لـ«حزب الله» حينذاك الشيخ صبحي الطفيلي إنَّ «الجمهوريَّة الإسلاميَة في إيران قدَّمت دعمًا ماليًّا كبيرًا لمشروعٍ تربويّ]...[شَمَلَ المستَضْعَفين في كلِّ المناطق دون تمييز طائفي أو مذهبي. وأوضح أنَّ المساعدات شمَلَت ٧٠ ألف طالبٍ في مراحلِ التعليم كافّة، والبالغة تكاليفها الماليَّة ٣٢٠ مليون ليرة، ما عدا الكتب التي وُزِّعت من خلال مكتبات الإعارة وبلغت قيمتُها مائة مليون ليرة [...و[عدد المدارس التي استفادَ طلّبُها من المساعدات بلغ ١٩٨ مدرسةً، كالآتي: في بيروت الغربيَّة ٧٧ مدرسة، بئر العبد ٢٥ ، الأوزاعي ٢٠ ، حيّ السُّلّم (الكرامة) ١٣ ، الشياح ٣٠ ، برج البراجنة ٣٣». وبلغت قيمة المساعدات ٤٢٥ مليون ليرة. أي حوالى مليون دولار أميركي حينذاك. وقد استغلَّ الطفيلي المؤتمرَ الصحافي للتصويبِ على النظام السياسي اللبناني مِن مَدْخَلِ التربية، مُعْتَبِرًا أنَّه قد «تمادى في طُغْيانِه وهو المسؤول عن كلِّ مآسي المسلِمين والمستَضْعَفين في البلاد وصار يُهدِّد المواطنين بحقّهم في التعلُّم والدراسة ولا يجوز لأحد التصالُحُ مع هذا النظام أو ترقيع بعض عيوبه». وأكّد أنَّ الحالة الإسلاميّة التي عَجِزَت دبّاباتُ العدو وأساطيل المستَكْبِرين أنْ تهزِمَها، لن تستطيعَ مؤامرة التجهيل الراهنة أنْ تنالَ من عزيمة أبنائها أو تُثنيهِم عن جِهادِهِم من أجلِ تحقيقِ كاملِ أهدافِهِم المشْروعة.

أ- المؤسَّسَة الإسلاميَّة للتربية والتعليم

المؤسَّسَة الإسلاميَّة للتربية والتعليم جمعيَّةٌ تربويَّة تابعة لـ«حزب الله»، حصلت على عِلْم وخَبَر رقم ٩٨ /أد من الدولة اللبنانيَّة بتاريخ ١٧ شباط ١٩٩٤ ، وتَهْدُفُ، بحسب موقعها الإلكتروني إلى «العناية بالناشئة، وبناء جيل رِسالي مُلتَزِم النِّظام المعياري الإسلامي للقِيَم».

المدارس والمؤسَّسَات التابعة في ما يخصّ التوسُّع في رُقْعَة الانتشار، فإنَّ مدارس المهدي التابعة للمؤسَّسَة الإسلاميَّة للتربية والتعليم في تزايُدٍ لا مثيل له، وتتوَزّع راهنًا في محافظات جبل لبنان، بيروت، الجنوب، النبطيَّة، البقاع، بعلبك الهرمل والشمال، بالإضافة إلى مدينة قُمّ حيث تَحْتَضِن أبناء الجالية اللبنانيَّة. ويبلغ عددُها ٢٢ مدرسة في لبنان وِفْقَ موقع المؤسَّسَة الإسلاميَّة للتربية والتعليم.

وبالعودة إلى مسارِ بداياتها، ففي عام ١٩٩٣ افتَتَحَت ثلاث مدارس في بيروتَ (الأوزاعي)، و(الشّرقيَّة) و(المجادل). وفي العام نفسه انطلق معهد الإمام المهدي لإعداد المعلّمين. الذي خرَّج دورة الحَادِقات (معلّمات الصفوف الأولى) الأولى من المعهد، فكنَّ ٧٥ حادِقَةً برعاية الأمين العام ل «حزب الله» السيّد حسن نصرالله في تموز ١٩٩٤. وفي ذاكَ العام افتتحَ الحزبُ مكتباتِ المهدي التعاونيَّة في برج البراجنة وصُور، كما أنشأ مجلس التخطيط والتأليف لاختيارِ المناهجِ التي تعتمدُها المؤسَّسَة، وأصدَرَ سلسلةً باللغة العربيَّة للصفِّ التمهيدي وكتاب سيرةُ الجهاد بجزئيه الأول والثاني لصفَّي الثالث والرابع، وهو يَسْتَعرِض الحَركةَ الجهاديَّة منذ آدم، مرورًا بالأنبياءِ والأئمّةِ حتى عَصْرِنا الحاضر. وأصدَرَت المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم العددَ التوثيقي الأول من مجلّة «المهدي » وفيه صُوَر التلاميذ في جميع مدارِسِها. واعتمَدَت بشكلٍ أساسيٍّ على ما قدَّمته الجمهوريَّة الإساميَّة لإنشاء المدارس على الأراضي اللبنانيَّة، إذ قدَّمَت طهران لكلِّ مدرسةٍ ثمنَ الأرض والبناء للمرحلة الابتدائيَّة، على أنْ تتكفَّلَ المؤسَّسَة من خال التبرّعات والهِبَات بتكمِلَة المدارس حتى المرحلة الثانويَّة، وحصلت على إجازة بِقَبْضِ الحقوق الشرعيَّة الماليَّة من المراجع: آية الله السيّد علي خامنئي، آية الله الشيخ محمد علي الآراكي، وآية الله السيّد علي السيستاني. وعام ١٩٩٤ افتُتِحَت مدارس المهدي في عين قانا والبزّاليَّة، ثمَّ في الغازيَّة وعين المزراب وشمسطار في العام التالي. وفي أواخر عام ١٩٩٥ أحْيَتْ جمعيَّةُ التعليم الدِّيني الإسامي في كافّةِ مدارِسِها والمؤسَّسَةُ الإساميَّة للتربية والتعليم مناسبةَ ولادة السيّدة فاطمة الزهراء ويوم المرأة المسلِمة بارتِدَاء ٧٥٤ فتاةً بلَغْنَ سنّ التكليف الشرعي، الحجاب. وعن التطور السريع في أعداد التلاميذ في المدارس، ورَدَ في أحد التقارير لصحيفة «العهد » عن المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم أنَّ الطلاب أضْحوا عام ١٩٩٦ ، بعد ثاثِ سنواتٍ على إنشاءِ مدارس المهدي، ٢٨٤٠ طالبًا وطالبة، كما بلغَ أعضاء الهيئة التعليميَّة بالإضافة إلى الإداريّين ٢٩٥ . وقد استمرّتْ المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم في افتتاح المدارس في بيروت (بئر حسن) عام ١٩٩٧ ، صُورعام ٢٠٠٠ ، النّبي شيث عام ٢٠٠١ ، وبنت جبيل عام ٢٠٠٣ . وأنشأت مؤسَّسَة الشهيد ثانويَّة شاهد في منطقة برج البراجنة في عام ، وضُمَّت إلى مجموعة مدارس المهدي عام ٢٠٠٤ ، ثانويّتا المهدي في الكفاءات وزقاق الباط، ومدارس المهدي في راشكيدا، المعَيْصَرَة والدّوير. وكانت تلك المدارس قد نُقِلَت من جمعيَّة الإمداد الخيريَّة إلى مدارس المهدي. كذلك عَمَدَت المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم إلى شراء أو ضمِّ مدارسَ خاصّة موجودة في المناطق الشّيعيَّة، كمدرسة الهداية في كفرفيلا عام ٢٠٠٧ من السيّدة صفيَّة محمد جواد مغنيَّة والمدرسة النموذجيَّة في الغازيَّة عام ٢٠٠٧ . وتجدُر الإشارة إلى أنَّ مدارس المهدي التي افتتحت في البدايات كالمجادِل والشرقيَّة كانتا باسمَي أديب حسين سلمان ومحمد جعفر فحص على التوالي. وعام ٢٠٢٢ أضحى عدد الطاّب الذين يتعلّمون في هذه المدارس مجتمِعةً ٢٩٣٣٠ تلميذًا. كما باتت توفِّر فرص العمل لأكثر من ٢٤٠٠ فردٍ من بيئة «حزب الله» بين معلّمين ومعلّمات وإداريّين وعمّال، فضلاً عن حوالى ٩٠٠ سائقِ حافلة. وأصبحت المؤسَّسَة الإسلاميَّة للتربية والتعليم التي تعتمدُ مناهجُها على «مؤلّفاتِها الخاصّة في أغلب المواد وفي مختلف المراحل التعليميَّة » لتعظيم الشّهادة والشّهداء، تمتلكُ أكثرَ من ١٥٠ إصدارًا من كتبٍ تعليميَّة إلى جانب مواردها التطبيقيَّة والرقميَّة. أمّا كُلْفَة الأقساط فيها فهي «الأقلّ كُلْفَة]...[مقارنةً مع المدارس الأخرى في البيئة المحيطة،]... وتاليًا هي] مدارسُ مدعومةٌ لخدمةِ مجتمع المقاومة »، في إشارةٍ إلى محازبي «حزب الله» وجمهورِه.

إنَّ الإعداد الأساسي للمعلّمين كما الإعداد المستمر بعدَه، غيرُ مشروطٍ في أُطُرِه التنظيميَّة، ولا بما يَحتَويه من قُدُراتٍ ومَهارات،

بمؤسَّسَة دون سواها، بل يتمّ بشقّيه الأساسي والمستمرّ من خلال أُطرٍ ناظمة على صعيد الوطن، وكذلك حالُ بناء المناهج وتطويرها. غير أنَّ مدارس المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم تضطلعُ بتنظيم عمليَّة الإعداد وإعادة تنظيمها وتصميم البرامج بشكلٍ رديفٍ لما هو قائمٌ على المستوى اللبناني العام. فالمؤسَّسَة تُعطي لنَفْسِها الدور في «إعداد المعلمين والمناهج التربويَّة »، ولا يمكن بأي حالٍ تصوير ما تقوم به على صعيد الإعداد/إعادة الإعداد للكادر التعليمي

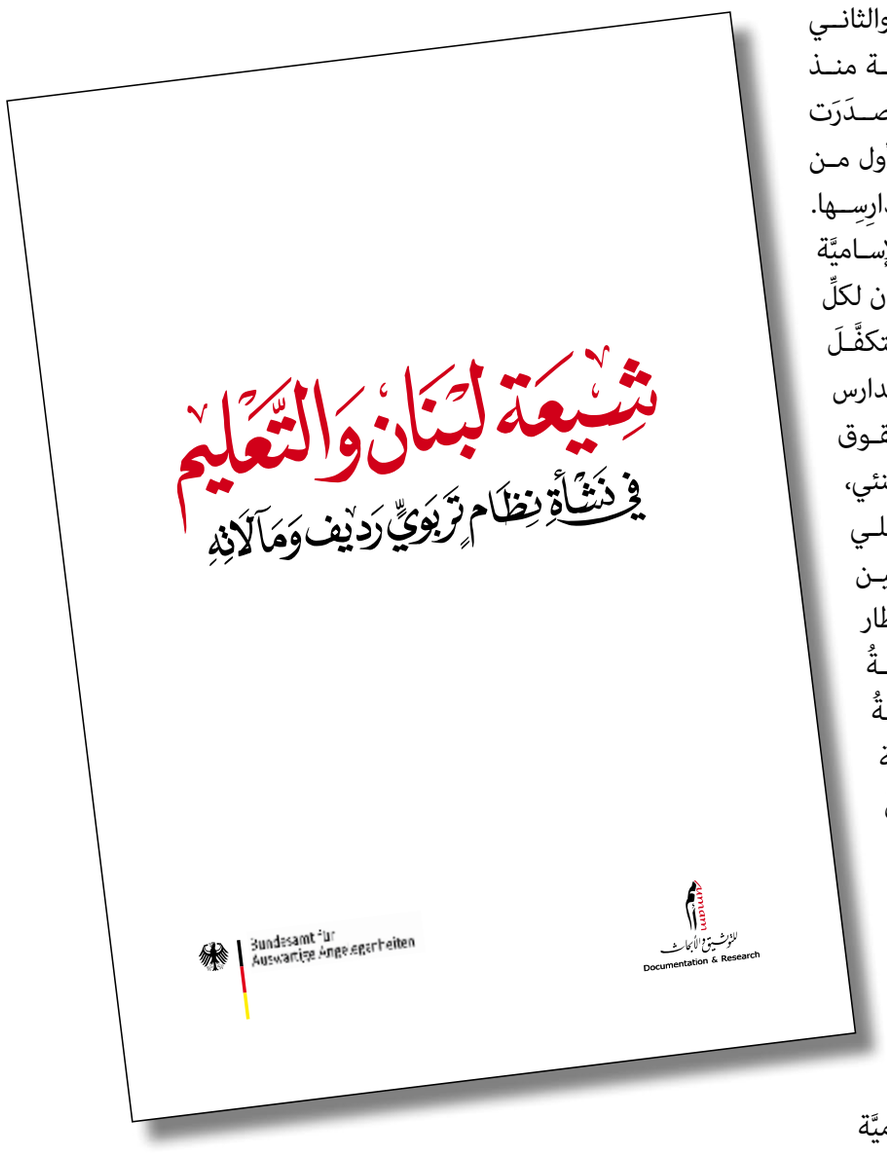

وتصميم المناهج على أنَّه مِثْلُ سائرِ المدارس الخاصّة التي تعمل على تنظيم دوراتٍ في الإعداد المستمرّ أُسْوَة بما يفعله المركز التربوي للبحوث والإنماء مع معلّمي القطاع الرسمي، أو تصميم الأنشطة الداعمة للمنهج الرسمي الذي تلجأ إليه المدارس الخاصّة بطبيعة الحال، أو اعتمادها على التدريس في غيرِ الكتابِ الرسمي ولكن في مطبوعاتٍ مطابقة بمحتواها لما يتضمَّنه المنهاج الرسمي.

ويَظهرُ جليًّا أنَّ المؤسَّسَة الإساميَّة للتربية والتعليم تتبنّى اتجاهاتٍ محدَّدَة بالمضمون العقائدي، وتنْسَلِخُ عن الهويَّة الوطنيَّة للمجتمع اللبناني في مدارسَ يَطْغى التصنيفُ والتمييزُ.

ب- جمعيَّة التعليم الدِّيني الإسلامي

تأسَّسَت بموجب علم وخبر رقم ٦٨ /أد بتاريخ ٢ تموز ١٩٨١ وعَدَّلَت غايتَها برقم ٢١١ /أد بتاريخ ٨ أيلول ١٩٨٨ ، فانصبَّ نشاطُها على التدريس الدِّيني الإسلامي في المدارس والثانويّات الرسميَّة والخاصّة والاهتمام بالقرآن وإنشاء المدارس الابتدائيَّة والمتوسّطة والثانويّات والمعاهد الفنيَّة وغيرها.

- المدارس والمؤسَّسَات التابعة

أنشأت الجمعيَّة تباعًا «مدارس المصطفى » في حارة حريك، بئر حسن، تحويطة الغدير، صُور، النبطيَّة والبقاع. وبلغ عدد طلّابها ٤١١٢ بحسب دليل المدارس للتعليم عام ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ . وتُصْدِر جمعيَّة التعليم الدِّيني الإسامي كتاب «الإسلامُ رسالتُنا».

وهو منشورٌ تعليمي ديني مُعْتَمَدٌ في العديد من المدارسِ الرسميَّة والخاصّة في المناطق الشّيعيَّة. وعام ٢٠٠٧ بلغَ عدد الطلاب الذين تعلَّموا فيه ١٣٥٢٩٤ تلميذًا في ٥٢٨ مدرسة، بينها٥٨٢ رسميَّة.

لا يركز مشروع «حزب الله» التربوي على التعليم الديني إنما يأتي خطاب على تحديدِ خطٍّ دون غيره في الالتزام الدِّيني، ألا وهو التَبَعِيَّة لولاية الفقيه، إذ أوْرَدَت النشرة في رسالتِها إلى الشباب: «اعْلَموا أنَّ انتصارَكُم ضد اليهود والتكفيريّين والظالمين يكْمُنُ في طاعتِكم للتكليف الشرعي الذي هو قلبُ الإسام، فإنَّ الإسلام يقومُ على أكتافِ الشباب. وبجهادِكم تكونون مِمّن قِيلَ فيهم، إنَّ لله رجالً إذا أرادوا أراد. علينا أنْ نقدّمَ الدماء والتضحيات لكي ننتَصِر على أعداءِ الأمّة ولنلتحق بقافِلَة الإمام الحسين» . ■